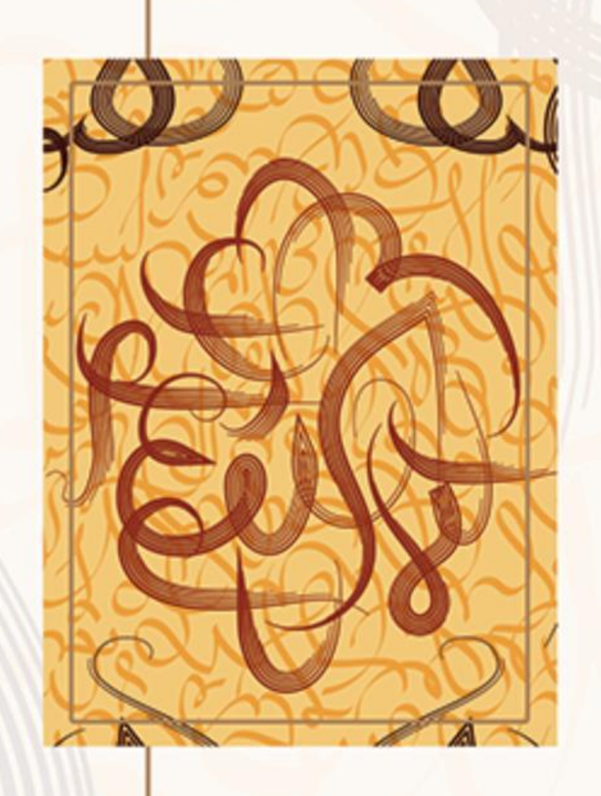
آداب



قِلادةُ الأديبِ

مُختاراتٌ شِعريّةٌ مِنَ العُصورِ الأُولَى
مَعَ تعاليقَ تكشِفُ معانِيها وتُضيءُ مُعمَّياتِها



د. سُليمان بن ناصر العبُودي
عُثمان بن عبدالله العمُودي



ح شركة آفاق المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤٤٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي، سليمان بن ناصر

قلادة الأديب./ العبودي، سليمان بن ناصر، العمودي عثمان بن عبد الله - ، الرياض، ١٤٤٤هـ.

١٩٦ص؛ ١٧× ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩-٩١٦٦٠-٦٠٣-٩٧٨

أ. العمودي، عثمان بن عبد الله (مؤلف مشترك)

ب. العنوان

ديوي ٨١٠,٨ ٩١/ ١٤٤٤

رقم الإيداع: ٩١/ ١٤٤٤

ردمك: ٢-٩-٩١٦٦٠-٦٠٣-٩٧٨

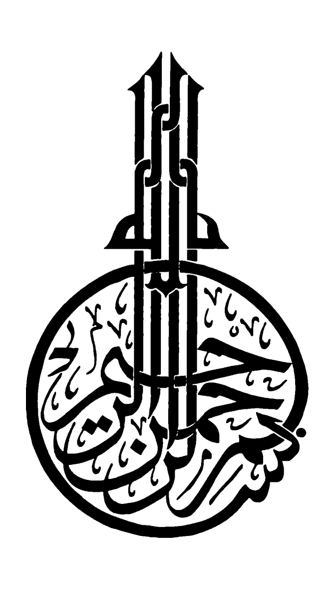
الطبعة الثانية

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م



مُخْتَارَاتٌ شِعْرِيَّةٌ مِنَ العُصُورِ الأُولَى
مَعَ تَعَالِيقَ تَكْشِفُ مَعَانِيهَا وَتُضِيءُ مُعَمَّيَاتِهَا

د. سُلَيْمَان بْن نَاصِر العَبُّودِي   عُثْمَان بْن عَبْدالله العَمُّودِيّ


بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد صلىٰ الله عليه وسلم. أما بعد

فإن الاطلاعَ علىٰ شِعْرِ العَرَبِ القدماء، والإحاطةَ بأبياتهم السائرة، والتضلعَ من مادَّتهم اللغوية في التعبير والمخاطبة هي الجادَّةُ الأقصر والوسيلة الأشهر -بعد معرفة الوحيين- لكلٍّ من أراد أن يكون له الحظ الأوفىٰ والقدح المعلىٰ من القدرة علىٰ البيان عن ما يختلج بنفسه من مشاعر، وما يضطرمُ في روحه من أفكار، وما يعتمل في عقله من معارف، ولهذا المقصد الشريف وغيرِهِ جرتْ عادةُ أهلِ العلم قديما وحديثا علىٰ حفظِ بعض المنتخبات الشعرية، ما بين مقلٍّ من ذلك ومُكثر، فقد صحح الأصمعيُّ شعرَ هذيل علىٰ الإمام الشافعي رحمهما الله، وحَفِظَ الطبريُّ ديوان الطِرِمَّاح بن حكيم، وروىٰ ابن عبد البر شعرَ أبي العتاهية، إدراكًا تاما من هؤلاء الأئمة وغيرهم أنك إن حنيت رقبتك للغة عاما، فإنها ستخدمك دهرا، ووعيا كاملا منهم أن للغوص في معرفة أساليب العرب أبلغَ الأثر علىٰ الإنسان في مَدّ رواق سلطته في التفكير والنظر العقلي، وقد روىٰ ابن أبي حاتم في كتابه آداب الشافعي ومناقبه بسنده عن الشافعي قال: (أصحاب العربية جن الإنس، يبصِرون ما لا يبصر غيرهم) [1].

وكأنَّ الشافعيَّ باتساعه اللغوي المعروف يروي في هذا النص تجربتَه الشخصية التي ورِثها عن علم اللغة، ورأىٰ أن تبحره اللغوي نمىٰ عنده ملكة النظر

---

(١) آداب الشافعي ومناقبه (١١٢).

والاستنباط، ورفع مستوى الأداء العقلي في التفكير إلى الغاية، فجاءت شهادته لأهل اللغة ومقدرتهم على إبصار ما لا يبصره سواهم من هذه الجهة. وقد توارد على هذا المعنى وما يقاربه عدد من العلماء السابقين، فيقول ابن المقفع: (بالأدبِ تنمى العقولُ وتزكو)[1]، ويقول الفرّاء: (قلّ رجل أنعم النظر في العربية وأراد علما غيره إلّا سهل عليه)[2]، ويقول ابن تيمية: (اعتياد اللغة يؤثر في العقل)[3]، وقال ابن خلدون واصفا حال بعضهم بأنه: (سبقت له عجمة في لسانه، فربطت عن ذهنه)[4].

تفسير علاقة المخزون اللغوي بالتفكير:

كلمات العلماء في تأثير اللغة على العقل وعلى تحصيل المعرفة كثيرة، وبالإمكان أن نذكر علةً واحدة حول علاقة المخزون اللغوي بالتكوين المعرفي والفكري، وهو أن العقل البشري ينتج عمليات في غاية التعقيد ومنتهى التفاوت، وهذه العمليات العقلية الهائلة لا تشعر بها الحواسّ، وإنما يكشف عنها البيان، والألفاظ هي الثوب الذي تلبسه المعاني، فإذا اتسع الثوب استطاع أن يغطي قدرا واسعا من المعاني، وإذا ضاق ظلَّت المعاني محبوسة في زوايا الذهن لا تجد من يخرجها من كِناسِها، أو حتى من يَسمع وَقْعَ أنفاسِها، وهذا مندرج في كلمة عبد القاهر الجرجاني حين قال: (فإنه لن تتسع المعاني حتى تتسع الألفاظ)[5]، فالبيان اللغوي هو إبانة عن خلجات النفس وكشف عن مخبآت الصدر واقتناص لشوارد المعاني، والعرب -كما يقول الشاطبي- (إنما كانت عنايتها بالمعاني، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها)[6]، وهذا قدرٌ من

---

(١) الأدب الصغير (٢١).

(٢) معجم الأدباء (١/ ١٧).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٥٢٧).

(٤) تاريخ ابن خلدون (١/ ٧٣٨).

(٥) دلائل الإعجاز (٦٠٨).

(٦) الموافقات (٢/ ١٣٨).

التفسير لعلَّة استبداد سلطان اللغة علىٰ التفكير، والأمر أعمق من ذلك وأدق، فإن اللغة نظام تفكير، وسلطة تفسير، ومِضَخَّة إنتاج.

أثر معرفة القواعد في الأسلوب الأدبي:

يخيل لنا أن القارئ الكريم لم يصل إلىٰ هذا الموضع إلا وقد استقرت في ذهنه هذه المقدمة ضِمْنا، وهي أن التضلع من اللغة له أثر بالغ في البيان، وأصبحت مسلَّمةً ينبنىٰ عليها ما بعدها، وها هنا يرد سؤال منطقي: ما المقصود بعلوم اللغة التي تؤثر أثرا مباشرا في البيان الإنساني؟ وما أثر القواعد في الأسلوب الأدبي؟ ولتقريب جواب هذا السؤال -مجردَ تقريبٍ- تأمل هذا المثال:

حين تريد أن تعبر عن لقائك بصاحبك عيسىٰ وهو راكب، فربما كتبتَ الجملة التالية:

(لَقَيت عيسا راكبٌ).

فإذا تعلمتَ بعد ذلك النحو فقط، فربما كتبتها هكذا:

(لَقَيت عيسا راكبا).

وإذا تعلمتَ بعد ذلك الصرف فقط، فربما كتبتَها هكذا:

(لَقِيتُ عيسا راكبا).

وإذا تعلمتَ الإملاء فستكون الجملة هكذا:

(لَقِيتُ عيسىٰ راكبا).

لعلك تلاحظ أن الجملة تغيرت مرارا مع كل علم يضع طرف بنانه علىٰ شَباةِ قلمك، وأمست هذه الجملة القصيرة مع تعاضد العلوم مستويةً علىٰ سوقها، مسلَّمَةً

لا شِيَة فيها، فهي صلبة من جهة البناء الخارجي، وهذا هو ما تمنحه لنا في الجملة علوم القواعد علىٰ مهاراتنا التعبيرية، وهي منحة ليست هيِّنةً كما ترىٰ، لكن علينا أيضا أن ندرك حدودَ تأثير هذه العلوم علىٰ الأسلوب، وأنه مهما بلغ من الأهمية إلا أن له حدودا لا يستطيع تجاوز أسوارها، فهذا المثال السالف قُصد به تقريبُ صورةِ حدود التأثير.

أما هدم البناء اللغوي للجملة من أساسِها، ثم افتراع جمل أخرىٰ أكثر أناقة وجمالا، أو اختراع سياقات جديدة أرقَّ صياغةً وبناءً، أو انتقاء طرائق مختلفة في التعبير والبيان عن المراد المضمر في الضلوع، فهذا -مع شرطِ وجود الملَكة- إرثُ القراءة الدقيقة في الأساليب العالية المودَعة كتاب الله تعالىٰ، والمشتملة عليه البلاغة النبوية العظيمة، وهو أيضا نتيجة إدامة النظر في تركةِ الأقلام الفصيحة المقتدرة علىٰ النفاذ إلىٰ بواطن المعاني.

هذه حقيقةٌ ينبغي أن تكون حاضرةً إذا رأيت من يرسم حدودا لملكة البيان لا تتجاوز معرفة قواعد الإعراب وما في بابها، وهذا ذكر لنصف الطريق، أما الاقتصار عليه فهو لا يوصل إلىٰ المقصود بحال، وقد نبَّه علىٰ هذا المعنىٰ الدقيق العلامة النحوي أبو حيان الأندلسي -وبالغ في تقريره- فقال: (أكثر أئمة العربية هم بمعزل عن التصرف في الفصاحة والتفنن في البلاغة.. وقلَّ أن ترىٰ نحويا بارعا في النظم والنثر، كما قل أن ترىٰ بارعا في الفصاحة يتوغل في علم النحو)[1].

وجاء في ترجمة أبي حامد الغزالي أنه مما كان (يُعترض به عليه وقوعُ خللٍ من جهة النحو في أثناء كلامه، وروجع فيه، فأنصف، واعترف أنه ما مارسه، واكتفىٰ بما

---

(١) البحر المحيط (١/ ١٩).

كان يحتاج إليه في كلامه، مع أنه كان يؤلف الخطب، ويشرح الكتب بالعبارة التي يعجز الأدباء والفصحاء عن أمثالها)[1].

فالنحو والصرف ونحوهما من علوم القواعد يقومان بمهمة ترسيم وضبط الحدود الخارجية لدولة الأسلوب، أما البنية التحتية والإدارة الداخلية لهذه الدولة فليست هي مهمة سيبويه وأبي علي الفارسي وابن جني ونظرائهم، وإنما فَسَحَ هؤلاء النحاةُ الصدرَ لأصحابِ المعلَّقات وأبي تمام والمتنبي والجاحظ وابن قتيبة والجرجاني ليتولوا مهمة إدارة هذه الدولة من الداخل!

قلادة الأديب:

وبعد.. فهذه مختارات شعرية من العصورِ الأولىٰ مضمَّنةً شرحَها والتعليقَ عليها، وهي مادَّة انتخبناها للحفظ والاستشهاد، وعَلَّقْنا عليها بشرح مُقتضب يجلِّي إشكال الأبيات ويحلُّ مُغْلقاتِها، ويضيء مُعَمَّيَاتِها.

وإن أعظم المعارف أثرا علىٰ الإنسان وشحذا لموهبته واستقرارا في نفسه ما أخذَه بِصَبرٍ طويلٍ وتأملٍ عميقٍ وإدامةِ نظرٍ وتقليبِ فِكْرٍ حتىٰ وإن كان قليلا، فإن بركتَه تربو مع كرِّ الليالي ومَرِّ الأيام، وإن أَقلَّها أثرًا علىٰ الإنسان ما أخذه مكاثرةً دون تدقيق، ومراكمةً دون تحقيق؛ فإن أثره سريع الاضمحلال وشيك الزوال، وهذه قاعدةٌ صحيحةٌ في كل فَنّ، فلا تنحصر في الأدب فَحَسْب.

وكان المنهج المسلوك في هذا الكتاب كما يلي:

- اشتمال المختارات الشعرية علىٰ المعاني اللطيفة الصالحة للاحتجاج أو الاستشهاد.

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٦/ ٢١١).

- عامة المختارات من الشعر القديم، إما من العصر الجاهلي خصوصا، أو العصر الأموي، أو العصر العباسي، لما لهذه العصور المتقدمة من فضل بيِّن علىٰ أشعار العصور المتأخرة.
- عامة المختارات هي مما توارد علىٰ ذكرها بعض أئمة اللغة، أو وردت في بعض المجاميع اللغوية المشهورة.
- عدلنا في هذا الكتاب عن القصائد الطوال إلىٰ القطع الشعرية القصيرة، دفعا للسأم، وتنشيطا للذاكرة، وتسهيلا للاستشهاد.
- شرحنا الأبيات بما يزيل عنها الغموض والالتباس، ويجعلها بيِّنة جَليّة لعامة الناس، دون استقصاءٍ في التفسير، أو استفاضَةٍ في التعبير.
- كتبنا ترجمة موجزة لكل شاعر، نذكر فيها أهم ما يتعلق بحياته وأدبه.
- حَرَصْنا علىٰ ضبط الأبيات بالشكل، مع ذكر البحر العروضي لكل قِطْعَة مختارة.

وقد قسمنا هذا الكتاب -بعد المقدمة- إلىٰ فصلين:

الفصل الأول: المختارات الشعرية: وفيه الأبيات المختارة مرتبةً مع ذكر قائليها وعنوانٍ لكل قطعة.

الفصل الثاني: شرح المختارات الشعرية: وفيه شرح للأبيات المختارة، حسب ترتيبها في الفصل الأول، مع ذكرٍ لبعض الفوائد والشواهد والمناسبات.

ونرجو أن تكون هذه المادة الأدبية -علىٰ وَجازتها- لَبِنَةً نافعةً لحافظِها بالاحتجاج والاستشهاد والتذوُّق، دافعةً للمتأمِّل في دقائق معانيها لأن يغذَّ المسير في هذا الطريق الماتع، وأن تغدو نافذةً مطلَّة لمن أخذها بحقٍّ علىٰ الشعر العربي

القديم، فما قصدنا بهذا الجمع الأدبي إلا إشعال شموع في طريق تذوق كلام العرب، وضبط ألفاظه، وتقريب معانيه، وهو طريقٌ لاحِبٌ طويل ممتدٌّ[1].

ونسأل الله تعالىٰ أن يباركَ في هذا الجمع الأدبي، وأن يجعله قنطرة صالحة لتعميق فهمنا لكلام الله تعالىٰ وكلامِ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم.

---

(١) أصل هذا الكتاب مبادرة أدبية على الشبكة الالكترونية، ثم رأينا إخراجه لِما شهدنا من إقبال لفيف من المهتمين بالأدب على حفظه واستشراحه وإنشاد مختاراته.

الفصل الأول

المختارات الشعرية

وهو منطلقُ

قال جُؤَيَّة بن النَّضْر: **(بحر البسيط)**

إِنـا إِذا اجْتمعـتْ يَوْمًـا دَراهِمُنـا ظَلَّتْ إِلىٰ طُرقِ الْمَعْرُوف تَسْتَبِقُ

لاَ يأْلَفُ الدِّرْهُـم المضْرُوبُ صُرَّتَنَا لكِـنْ يَمُـرُّ عَلَيهَـا وَهْـوَ مُنْطَلِـقُ!

❁ ❁ ❁

دَبيبُ الكُسالى

قال حَوطُ بن رِئاب الأسدي: **(بحر البسيط)**

دَبَبْتَ للمَجْدِ والسَّاعون قد بَلَغُوا جَهْدَ النُّفـوسِ وألقـوا دونَـه الأُزُرا

فكابـدوا المجـد حتىٰ مَلَّ أكثرُهـم وعانَـقَ المجدَ مَنْ أَوفىٰ وَمَنْ صبَرا

لا تحسَـبِ الْمجـدَ تمـرا أنـتَ آكلُـهُ لـن تبلـغَ المجدَ حتـىٰ تَلْعَـقَ الصَبِرا

❁ ❁ ❁

صخرة الأسرار

قال مِسْكين الدارمي: **(بحر الطويل)**

وفتيـانِ صدقٍ لَسْـتُ مطلـعَ بعضِهِم علـىٰ سِـرِّ بعـضٍ غيـرَ أَني جِمَاعُهـا

لكلِّ امرئٍ شِعْبٌ مـنَ الْقَلبِ فارِغٌ وموضـعُ نجـوىٰ لا يُـرامُ اطِّلاعُهـا

يَظَلُّـونَ شـتىٰ في البـلاد، وسـرُّهم إلىٰ صخـرةٍ أعيا الرجـالَ انْصداعُها

مقابر المحاسن

قال قَعْنَبُ بن ضَمْرة: **(بحر البسيط)**

إن يسـمعوا رِيبـةً طـاروا بهـا فَرَحًـا ... مِنِّي، وما سـمعوا مـن صالـحٍ دفنوا

صُـمٌّ إذا سـمعوا خيـرا ذُكِـرتُ بـه ... وإنْ ذُكِـرتُ بِـشَرٍّ عِنْدَهـم أَذِنـوا

فليتك تحلو

قال أبو فراس الحمداني: **(بحر الطويل)**

إذا الخِـلُّ لَـمْ يَهْجُـرْكَ إلاّ مَلالَـةً ... فَلَيْـسَ لَـهُ إلا الفـراقَ عتـابُ

بِمَـن يَثِـقُ الإِنسـانُ فيمـا يَنوبُـهُ ... ومِنْ أينَ للحُرِّ الكَريـم صِحـابُ؟

وَقَـدْ صَـارَ هَـذَا النّـاسُ إلاّ أَقَلَّهُـمْ ... ذئابًـا علـىٰ أَجسـادِهِنَّ ثيـابُ!

ومـا كلُّ فَعَّـالٍ يُجـازىٰ بِفِعْلِـهِ ... ولا كُلُّ قَـوالٍ لـديَّ يُجـابُ

وربَّ كلامٍ مَـرَّ فـوقَ مَسـامِعي ... كمـا طَـنَّ في لَـوحِ الهجيـرِ ذُبـابُ!

فليتـكَ تَحلـو والحيـاةُ مـريرةٌ ... وليتـكَ ترضـىٰ والأنـام غضـابُ

وليـتَ الـذي بيني وبينـك عامـرٌ ... وبينـي وبيـن العالميـن خَـرابُ



الغلوُّ ذريعةُ الانتِقاص

قال ابن الرومي: **(بحر المتقارب)**

إذا ما وَصَفْتَ امرأً لامرئ ... فَلا تَغْلُ في وَصْفِه واقصِدِ

فإنَّك إن تغلُ تغلُ الظُّنو ... نُ فيهِ إلىٰ الأمَدِ الأَبعدِ

فينقُصُ مِن حيث عَظَّمْتَه ... لفَضلِ المغيبِ علىٰ المشهدِ

۞ ۞ ۞

شقاء المحب

قال أحدهم: **(بحر الوافر)**

وَما في الأرض أشقىٰ مِن مُحِبٍّ ... وَإنْ وَجَدَ الهوىٰ حُلْوَ المذاقِ

تـرَاهُ باكيا في كلِّ حينٍ ... مَخَافَةَ فُرقةٍ أَو لاشتياقِ

فَيَبْكي إنْ نَأوا شوقًا إلَيْهِم ... وَيَبْكي إنْ دَنَوا خوفَ الْفِرَاقِ

فَتَسْخَنُ عينُه عِنْد التَّنائي ... وَتَسْخَنُ عينُه عِنْد التلاقِي

۞ ۞ ۞

استسهال البدايات

قال العباس بن الأحنف: **(بحر الكامل)**

الحبُّ أوّلُ ما يكون لجاجَةً ... تأتىٰ به وتسوقه الأقدارُ

حتّىٰ إذا اقتحمَ الفتىٰ لُجَجَ الهوىٰ ... جاءتْ أمورٌ لا تُطاقُ كبارُ!

سباع بشرية

قال أبو الطيِّب المتنبِّي: (بحر الخفيف)

إنما أَنْفُسُ الأنيسِ سِباعٌ يَتَفارَسْنَ جَهْرةً وَاغْتيالا

مَنْ أَطاقَ الْتماسَ شَيءٍ غِلابا وَاغْتِصابا، لم يَلْتَمِسْهُ سؤالا!

كُلُّ غادٍ لحاجَةٍ يَتَمَنَّىٰ أن يكونَ الغَضَنْفَرَ الرِّئْبالا

❁ ❁ ❁

لذة السعي إلى الأماني

وقال: (بحر الطويل)

وأحلىٰ الهوىٰ ما شكَّ في الوَصْلِ رَبُّه وفي الهجرِ، فهو الدَّهرَ يرجو وَيَتَّقي

ولم أرَ كالألحاظ يومَ رَحيلِهم بَعَثْنَ بِكُلِّ القَتْلِ مِن كُلِّ مُشْفِقِ

أَدَرْنَ عُيُونًا حائراتٍ كأنَّها مُرَكَّبَةٌ أحداقُها فوقَ زِئبقِ

عشيةَ يَعْدونا عنِ النَّظرِ البُكا وَعَنْ لذَّةِ التَّوديعِ خوفُ التَّفرقِ

❁ ❁ ❁

استبداد الشعور

قال الطِّرِمَّاحُ بنُ حَكيم: (بحر الطويل)

متىٰ مَا يَسُؤْ ظَنُّ امرئٍ بِصَديقِهِ وللظنِّ أسبابٌ عِراضُ المَسارِحِ

يُصَدِّقْ أمورا لم يجئْه يَقينها عليه، ويعشقْ سمعُه كلَّ كاشِحِ

قبول المعاذير

قال أحدهم: **(بحر البسيط)**

اقبَلْ مَعاذيرَ مَن يأتيك مُعْتَذِرا ... إنْ بَرَّ عِندكَ فيما قالَ أو فَجَرا

فَقَدْ أَطاعكَ مَن يُرضِيكَ ظاهِرُهُ ... وَقَدْ أَجَلَّكَ مَن يَعْصِيكَ مُستَتِرا

❁ ❁ ❁

حزازات النفوس

قال زفر بن الحارث الكلابي: **(بحر الطويل)**

أَيَذْهَب يومٌ واحدٌ إن أَسَأْتُهُ ... بِصالحِ أَيَّامي وحُسْنِ بلائيا

وَقَدْ يَنْبُتُ المَرْعىٰ علىٰ دِمَنِ الثَّرىٰ ... وَتَبْقَىٰ حَزازاتُ النفوسِ كما هِيا

❁ ❁ ❁

ربما أفسد التمادي

قال أعرابيٌّ: **(بحر المديد)**

ما لِعينيْ كُحِلَتْ بالسُّهادِ ... وَلِجَنْبِيْ نابِيًا عَنْ وِسادِي

لا أذوقُ النَّومَ إلا غِرارا ... مِثْلَ حَسْوِ الطَّيرِ ماءَ الثِّمادِ

أَبتغيْ إصلاحَ سُعْدَىٰ بِجُهْدي ... وهي تَسعىٰ جُهدها في فَسادي

فَتَتَاركنَا علىٰ غيرِ شيءٍ ... رُبَّما أفسدَ طولُ التَّمادي

وَمَلَّتْ سُلَيمى

قال صخر بن الشريد: **(بحر الطويل)**

أرىٰ أمَّ صَخْـرٍ لا تمـلُّ عِيـادَتي وَمَلَّـتْ سُـلَيمىٰ مَضْجَعِـي وَمَـكاني

فـأيُّ امـرئٍ سـاوَىٰ بـأمٍّ حليلـةً فـلا عـاشَ إلا في أذىٰ وهَـوانِ

لَعَمـري لقـد نبَّهـتِ مَـنْ كان نَائِمًـا وأَسْـمَعْتِ مَـنْ كانـتْ لـه أذُنـانِ

أهُـمُّ بأمـرِ الحـزمِ لـو أَسـتَطيعه وقـدْ حِيْـلَ بيـنَ العَيـرِ والنَّـزَوانِ

ومـا كنـتُ أخشىٰ أن أكـون جِنازَة عليـكِ، وَمَـن يغـتَرُّ بالحَدَثـانِ!

❁ ❁ ❁

الغياب الموجع

قال مُهَلْهِلُ بنُ رَبيعةَ في رِثاء أخيه كُليب: **(بحر الكامل)**

نُبِّئْـتُ أنَّ النَّـارَ بَعْـدَكَ أُوقِـدَتْ واسْتَبَّ بَعْـدكَ يـا كُلَيْبُ المجلسُ

وَتَكَلَّمـوا فِـي أَمْـرِ كُلِّ عَظِيمَـةٍ لـو كنـتَ شـاهِدَهُم بِهـا لـم يَنْبِسـوا

❁ ❁ ❁

زفرةُ والد

قَالَ أُميَّة بن أبي الصَّلْت: **(بحر الطويل)**

غَذَوتُـك مَولـودًا، وعُلْتُـك يَافِعـا ... تَعُـلُّ بِمَـا أُدْنِـي إِلَيْـك، وتَنْهَـلُ

إذا لَيْلَـةٌ نَابَتْـكَ بالشَّـكْوِ لـم أَبِـتْ ... لِشَـكْواكَ إِلَّا سَـاهِرًا أَتَمَلْمَـلُ

كَأَنِّـي أَنـا المطـروقُ دُونَـك بِالَّـذِي ... طُرِقْـتَ بِـهِ دوني فَعَينـيَ تَهمِـلُ

تخَـافُ الرَّدىٰ نَفسِـي عَلَيْكَ، وَإِنَّهَا ... لَتَعْلَـمُ أَن الْمَـوْتَ حَتْـمٌ مُؤَجَّـلُ

فَلَمَّـا بَلَغْـتَ السِّـنَّ والغايـةَ الَّتِـي ... إِلَيْهَـا مَـدَىٰ مَـا كنـتُ فِيـكَ أُؤَمِّـل

جَعَلْـتَ جَزَائِـي غِلْظَـةً وَفَظاظـةً ... كَأَنَّـك أَنْـتَ الـمُنْعِمُ المتَفَضِّـل

فَلَيْتَـك إِذْ لـم تَـرْعَ حَـقَّ أُبُـوَّتي ... فَعَلْـتَ كَمَـا الجَـارُ المجاورُ يَفْعَـلُ

❁ ❁ ❁

فضيلة التَّغـافل

قال الشريف الرضي: **(بحر الطويل)**

وكـمْ صاحبٍ كالرُّمحِ زَاغَتْ كُعُوبُه ... أَبـىٰ بَعـدَ طُـولِ الغَمـزِ أنْ يَتَقَوّمـا

تَقَبَّلْـتُ مِنْـهُ ظاهـرًا مُتَبَلِّجـا ... وَأَدْمَـجَ دُوني باطنًـا مُتَجَهِّمـا

وَلـو أَنَّنـي كَشَّـفته عَـن ضَميـرِهِ ... أَقَمْـتُ علـىٰ مـا بينَنـا اليـومَ مَأْتَمـا

إذا العُضْـوُ لَـمْ يُؤلِمْـكَ إلاّ قَطَعتَـهُ ... علىٰ مَضَضٍ لـم تُبْقِ لَحمـا ولا دَما

عند الشدائد تذهب الأحقاد

قال عويف القوافي: **(بحر الكامل)**

ذَهَبَ الرُّقادُ فَما يُحَسُّ رُقادُ ... مما شَجَاكَ، وَنَامَتِ العُوَّادُ

لـمَّا أتاني عَنْ عُيَيْنَةَ أنَّه ... أَمْسَتْ عليه تَظاهَرُ الأَقيادُ

نَخَلَتْ له نفسي النصيحةَ إنه ... عند الشَّدائدِ تَذْهَبُ الأَحقادُ

رُقية الحُب

قالت أم الضحاك المحاربية: **(بحر الطويل)**

سألتُ المحبّين الذين تحمّلوا ... تباريحَ هذا الحُبِّ من سالفِ الدهر

فقلتُ لهم: ما يُذهب الحبَّ بَعدَما ... تبوّأ ما بين الجوانحِ والصّدرِ؟

فقالوا: شفاءُ الحبِّ حبٌّ يزيله ... لآخرَ، أو نأيٌ طويلٌ علىٰ هَجرِ

أو اليأسُ حتىٰ تذهلَ النفسُ بعدما ... رَجَتْ طمعًا، واليأسُ عونٌ علىٰ الصّبرِ



إن الشجا يبعث الشجا

قَالَ مُتَمِّمُ بن نُوَيْرَة: **(بحر الطويل)**

لَقَدْ لامَني عِندَ القُبُور علىٰ البُكا   رَفيقي لِتَذْرافِ الدُّمُوع السوافكِ

فَقَالَ: أَتَبْكِي كل قبرٍ رَأَيتَه   لِقَبرٍ ثَوىٰ بَين اللِّوىٰ فَالدَّكادكِ

فَقلت لَهُ: إن الشَّجا يَبْعَثُ الشَّجا   فَدَعْني، فَهَذَا كُلُّهُ قَبرُ مَالكِ!

۞ ۞ ۞

فَكَشَّفه التمحيص

قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر: **(بحر الطويل)**

رأيتُ فُضيلا كان شيئا مُلفَّفًا   فَكَشَّفه التمحيصُ حتىٰ بَدَا لِيا

أَأَنتَ أخي ما لمْ تكُن لي حاجةٌ   فإنْ عَرَضَتْ أَيقنتُ أَن لا أخا لِيا!

كِلانا غنيٌّ عن أَخيه حَيَاتَه   وَنَحنُ إِذا مُتنا أَشدُّ تغانيا



فكأنها أحلام

قال أبو تمام : **(بحر الكامل)**

ولقـدْ أراكِ، فَهَـلْ أَراكِ بِغِبْطَـةٍ   والعَيـشُ غَـضٌّ والزَّمـانُ غُـلاَمُ؟!

أعـوَامَ وَصْـلٍ كادَ يُنْسِـي طُولَهـا   ذكْـرُ النَّـوَىٰ، فكأَنَّهَـا أيَّـامُ

ثُـمَّ انبَـرَتْ أَيَّـامُ هَجْـرٍ أَردَفَـتْ   بِجَـوىً أَسـىً، فكأنَّهـا أعْـوَامُ

ثـمَّ انْقَضَـتْ تلـك السِّنونَ وأهلُهـا   فكأنَّهـا وكأَنَّهُـمْ أحـلامُ

حصاد السِّنين

قال أبو نُواس: **(بحر الكامل)**

ولقـد نَهَـزْتُ مَـعَ الغُـواةِ بِدَلْوِهِـم   وَأَسَمْتُ سَرحَ اللَّحْظِ حَيْثُ أَسامُوا

وَبَلَغْـتُ مـا بَلَـغَ امـرؤٌ بِشَـبابِهِ   فـإذا عُصَـارَةُ كُلِّ ذاكَ أَثـامُ!



أَنَفَة العِتاب

قال معن بن أوس المُزَنيّ: **(بحر الطويل)**

لعَمـرُكَ مـا أدري -وإني لأوجَـلُ-   علـىٰ أيِّنـا تَعـدو المَنيّـةُ أوّلُ

وإنّـيْ أخـوكَ الدّائمُ العهدِ لـم أَحُلْ   إنَ ابـزاكَ خصـمٌ أو نَبـا بـكَ مَنـزِلُ

أحـاربُ مَن حاربتَ مـن ذي عداوةٍ   وَأحبـسُ مالـيْ إن غَرِمـتَ فأَعقِـلُ

سـتَقطعُ في الدُّنيـا إذا مـا قطعتَنـي   يمينَـكَ، فانظـرْ أيَّ كَـفٍّ تَبَـدَّلُ!

وفي النّـاسِ إن رَثّـتْ حِبالُـكَ واصلٌ   وفي الأرضِ عـن دارِ القِلَىٰ مُتحـوَّلُ

إذا أنـتَ لـم تُنصِـفْ أخـاكَ وجدتَّـهُ   علىٰ طَرَفِ الهجرانِ إن كانَ يَعقِـلُ

ويَركـبُ حَدَّ السَّـيفِ مِـن أن تَضيمَهُ   إذا لم يكن عن شَفرةِ السَّيفِ مَزحَلُ

إذا انصرفتْ نفسي عن الشّيءِ لم تكَدْ   إليـهِ بوجـهٍ آخـرَ الدّهـرِ تُقبِـلُ

المناظر المتعبة

قال أحدهم: **(بحر الطويل)**

وكنـتَ متىٰ أَرسلتَ طرفَكَ رائدًا   لِقَلْبِـكَ يومًـا أَتْعَبَتْـكَ المناظِـرُ

رأيـتَ الـذي لا كُلُّـه أنـتَ قـادرٌ   عليـه، ولا عـن بَعْضِـه أنت صابـرُ



فليتق الله سائله

قال أبو تمام: (بحر الطويل)

هـوَ اليَـمُّ مِـنْ أيِّ النواحـي أَتيتَـه فَلُجَّتُـه المعـروفُ والجـودُ ساحِلُهْ

تعـوَّدَ بَسْـطَ الكَـفِّ حتـىٰ لـوَ انَّـهُ ثَناهـا لِقَبْـضٍ لـمْ تُجبـهُ أنامِلُـهْ

ولـو لـم يَكـنْ في كَفِّـهِ غيـرُ رُوحِـهِ لجـادَ بهـا، فَلْيَتَّـقِ اللهَ سـائلُهْ

۞ ۞ ۞

والمنايا رصدٌ

قالت السُّلَكةُ أم السُّليك ترثيه: (مجزوء المديد)

طـافَ يَبْغِـي نَجْـوَةً مِـنْ هَـلاكٍ فَهَلَـكْ

ليـتَ شِـعْري ضَلَّـةً أَيُّ شـيءٍ قَتَلَـكْ؟

أَمَريـضٌ لـم تُعَـدْ؟ أَمْ عَـدُوٌّ خَتَلَـكْ؟

كلُّ شَـيءٍ قاتـلٌ حيـنَ تَلْقـىٰ أَجَلَـكْ

والمنـــايا رَصَـــدٌ للفتـىٰ حيـثُ سَـلَكْ

لَيـــتَ قَـــلبي ساعةً صـبرَه عنـكَ مَلَـكْ

لَيـت نَفسـي قُدِّمـتْ للمَنـــايا بَدَلَـــكْ

۞ ۞ ۞

حَنَّكَتْه التَّجارِب

قال عبد العزيز بن زرارة الكلابي: **(بحر البسيط)**

قَدْ عِشْتُ في الدَّهْرِ أَطوارًا علىٰ طُرُقٍ ... شَتَّىٰ، فَصادَفْتُ مِنهُ اللينَ والفَظَعا

كُلًّا بَلَوتُ فَلا النَّعْماءُ تُبْطِرُني ... وَلا تَخَشَّعتُ مِنْ لأْوائِه جَزَعا

لا يملأُ الهولُ صَدْري قَبلَ مَوْقِعِهِ ... وَلا أضيقُ بِهِ ذَرْعًا إِذا وَقَعا

❁ ❁ ❁

وتقتلنا المنونُ بلا قتالِ

قال المتنبِّي قصيدةً في رثاءِ والدةِ سَيفِ الدولة، ومنها: **(بحر الوافر)**

نُعِدّ المَشْرَفيَّةَ والعَوالي ... وتَقْتُلُنا المَنونُ بِلا قِتالِ

نَصيبُكَ في حَياتِكَ من حَبيبٍ ... نَصيبُكَ في مَنامِكَ من خَيالِ

رَماني الدّهرُ بالأرزاءِ حتّىٰ ... فُؤادي في غِشاءٍ مِن نِّبالِ

فَصِرْتُ إذا أصابَتْني سِهامٌ ... تكَسّرَتِ النِّصالُ علىٰ النِّصالِ

وهانَ فَما أُبالي بالرّزايا ... لأنّي ما انْتَفَعتُ بأنْ أُبالي



لَسْتَ الملومَ

وقال: **(بحر الكامل)**

أَبعَينِ مُفتقرٍ إليك نظرتَني فأهنتَني وقذفتَني من حالقِ

لستَ الملومَ! أنا الملومُ لأنني أنزلتُ آمالي بغير الخالقِ

❁ ❁ ❁

(تزاحُم الأضداد)

قال أبو العلاء المعرِّي في رثاء أحد الفقهاء الأحناف: **(بحر الخفيف)**

صاحِ هَذيْ قُبورُنا تملأ الرُّحْـ ـبَ فَأَينَ القُبورُ مِنْ عَهْدِ عادِ

خَفِّفِ الوَطْءَ ما أَظُنّ أَديْمَ الـ ـأَرْضِ إلا مِنْ هَذِهِ الأَجسادِ

رُب لحدٍ قَدْ صارَ لحدًا مِرارًا ضاحكٍ مِن تَزَاحُمِ الأَضدادِ

تعبٌ كُلُّها الحياةُ فَما أَعْـ ـجَبُ إِلَّا مِنْ رَّاغِبٍ في ازْدِيادِ

إنَّ حُزْنًا في ساعَةِ الموتِ أَضْعا فُ سُرورٍ في ساعَةِ الميلادِ

ضَجعةُ الموتِ رَقْدَةٌ يَسْتَريحُ الـ ـجِسْمُ فِيها والعَيشُ مِثْلُ السُّهادِ



فَيَا حَجَرَ الشَّحْذ

قال ابن تومرت: **(بحر المتقارب)**

أَخَـذْتَ بِأَعْضَادِهِـمْ إِذْ وَنَـوا وَخَلَّفَـكَ القـوم إِذْ أَسْـرَعُوا

وَأَصْبَحْـتَ تَهْـدِي وَلاَ تَهْتَـدِي وتُسْـمِعُ وَعْظًـا وَلاَ تَسْـمَعُ

فَيَـا حَجَـرَ الشَّـحْذِ حَتَّـىٰ مَتَـىٰ تَسُـنُّ الْحَدِيـدَ وَلاَ تَقْطَـعُ

❁ ❁ ❁

زُخْرُفُ القَول

قال ابن الرومي: **(بحر البسيط)**

فِـي زُخْـرُفِ الْقَـوْلِ تَزْيِـنٌ لِبَاطِلِـهِ وَالْحَـقُّ قَـدْ يَعْتَرِيـهِ سُـوءُ تَعْبِيـرِ

تَقُولُ: هَـذَا مُجَـاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ وَإِنْ ذَمَمْـتَ تَقُـلْ: قَـيْءُ الزَّنَابِيـرِ

مَدْحًا وَذَمًّا وَمَا جَـاوَزْتَ وَصْفَهُمَا حُسْنُ الْبَيَانِ يُـرِي الظَّلْمَـاءَ كَالنُّورِ



فضل التأني

وقال: **(بحر البسيط)**

نـارُ الرَّويَّـة نـارٌ جِـدُّ مُنْضِجَـةٍ   ولِلبَدِيهَـةِ نـارٌ ذَاتُ تَلْويـحِ

وَقَـدْ يَفضِّلُهَـا قَـوْمٌ لِعَاجِلِهـا   لكنَّـهُ عاجِـلٌ يَمْضـي مَـعَ الريـحِ

❁ ❁ ❁

عِرْضٌ مَصون

قال علي بن الجهم: **(بحر الوافر)**

بَـلاءٌ لَيـسَ يُشـبِهُهُ بَـلاءٌ   عَـداوَةُ غَيـرِ ذي حَسَـبٍ وَديـنِ

يُبيحُـكَ مِنـهُ عِرضـا لَـم يَصُنـهُ   وَيَرتَـعُ مِنـكَ في عِـرضٍ مَصـونِ

❁ ❁ ❁

عفوُ المقتدِر

قال عبدالله بن الربيع الحارثي: **(بحر البسيط)**

لن يبلغَ المجدَ أقوامٌ -وإن شرُفوا-   حتىٰ يذلّـوا -وإن عـزُّوا- لأقـوامِ

ويُشـتَموا فـترىٰ الألـوانَ مسـفرةً   لا صَفـحَ ذُلٍّ ولكـن صفـحَ أحـلامِ

❁ ❁ ❁

الشرُّ يبدؤه صغارُه

قال شبيب بن البرصاء: (بحر الطويل)

وإنّـي لـتـرَّاكُ الضَّغينـةِ قـد بـدا ... ثراهـا مـن المولـىٰ، فمـا أستثيرُها

مخافـةَ أن تجنـي علـيَّ، وإنَّمـا ... يَهيـجُ كبيـراتِ الأمـورِ صغيرُهـا

تبيَّـنُ أعقـابُ الأمـورِ إذا مضَـت ... وتُقبِـل أشـباهـًا عليـك صدورُهـا

❁ ❁ ❁

إقدامٌ على بصيرة

قال مضرِّسُ بن ربعيّ الأسدي: (بحر الطويل)

إيّـاكَ والأمـرَ الـذي إن توسَّـعَتْ ... مَـواردُهُ ضاقَـت عليـكَ المصـادرُ

فمـا حسَـنٌ أن يعـذِرَ المـرءُ نفسَـهُ ... وليـسَ لـه مـن سـائرِ النـاس عـاذرُ

❁ ❁ ❁

إحدى النوائب

وقال ابن الرومي: (بحر الطويل)

وزهَّـدَني في النـاسِ معرفتـي بهـم ... وطولُ اختباري صاحبًا بعد صاحبِ

فلـم تُـرِني الأيـامُ خِـلًّا تسرُّني ... بَوادِيـه إلا سـاءني في العواقـبِ

ولا قلـتُ أرجـوهُ لدفـعِ مُلمّـةٍ ... مـن الدَّهـرِ إلا كان إحدىٰ النوائبِ

حظوظ

قال المـُعلوَط القُرَيعيّ: **(بحر الطويل)**

وليس الغِنىٰ والفقرُ من شيمةِ الفتىٰ ... ولكـن أحـاظٍ قُسِّـمَت وجُـدودُ

إذا المـرءُ أعيَتْـهُ المـُروءةُ ناشـئًا ... فمطلبُهـا كهـلًا عليـه شـديدُ

۞ ۞ ۞

كنز الصَّبر

وقال أبو الحسن الجرجاني: **(بحر الطويل)**

إذا شئتَ أن تستقرضَ المـال مُنفِقًا ... علىٰ شـهواتِ النفسِ في زمنِ العُسرِ

فسَل نفسَك الإنفاقَ من كنزِ صبرِها ... عليـكَ، وإنظـارًا إلـىٰ زمـنِ اليُسـرِ

فإن سـمحَت كنتَ الغنيَّ، وإن أبَت ... فـكلٌّ مَنـوعٍ بعدَهـا واسـعُ العُـذرِ

۞ ۞ ۞

مقالة السوء

قال محمد بن حازم الباهلي: **(بحر السريع)**

ومَـن دعـا النَّـاسَ إلـىٰ ذمِّـهِ ... ذمُّـوهُ بالحـقِّ وبالباطـلِ

مقالـةُ السُّـوءِ إلـىٰ أهلِهـا ... أسـرَعُ مـن مُنحـدِرٍ سـائلِ

أقسِّمُ جِسمي

وقال عروة بن الوَرد: (بحر الطويل)

إني امـرؤٌ عـافي إنائـيَ شِـرْكةٌ وأنـتَ امـرؤٌ عـافي إنائـكَ واحـدُ

أتهـزأُ منِّـي أن سـمِنتَ؟ وأن تـرىٰ بوجهي شُحوبَ الحقِّ؟ والحقُّ جاهِدُ

أقسِّـمُ جِسـمي في جسـومٍ كثيـرةٍ وأحسـو قَـراحَ المـاءِ والمـاءُ بـاردُ

۞ ۞ ۞

فصيِّرَ آخره أوَّلا

قال محمودُ الورّاق: (بحر المتقارب)

يمثِّـل ذو العقـلِ في نفسـهِ مصائبَـهُ قَبْـل أن تَنْـزِلا

فـإن نزلـتْ بَغْتـةً لـم تَرعْـ ـهُ لِمـا كان في نفسـه مَثَّـلا

رأىٰ الأمـرَ يُفْضِـي إلـىٰ آخِـرٍ فَصيَّـرَ آخـرَه أوَّلا

۞ ۞ ۞

عِلم الأباعِرِ

قال مروان بن أبي حفصة: (بحر الطويل)

زَوامـلُ للأشـعار لا عِلْـم عندهـم بجيِّدهـا إلاَّ كعِلْـمِ الأباعِـرِ

لَعَمْـركَ مـا يَـدري البَعيـر إذا غَـدا بأوسـاقِهِ أو راحَ مـا في الغرائِـرِ

الحمق الجميل

قال لقيط بن زرارة: **(بحر الطويل)**

أَغَرَّكُمُ أني بأحسن شيمةٍ بصيرٌ وأني بالفواحش أخرَقُ
وإن تكُ قد سابَبْتني فَقَهرتَني هنيئًا مريئًا أنت بالفُحش أحذقُ

❁ ❁ ❁

المنزلِ الخشن

قال دِعبل الخزاعي: **(بحر البسيط)**

وإن أولىٰ البرايا أن تواسيَه عند السرور لمن واساكَ في الحزَنِ
إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألَفُهُم في المنزلِ الخشِنِ

❁ ❁ ❁

أحلام الكرى

قال عمران بن حطان السدوسي: **(بحر الرمل)**

يأسفُ المرءُ علىٰ ما فاتَه مِن لُباناتٍ إذا لم يقضِها
وتراه فرحًا مستبشرًا بالتي أمضىٰ كأن لم يُمضِها
إنها عندي كأحلامِ الكرىٰ لقريبٌ بعضُها من بعضِها

نعمة الأذى

قال أبو الطيب المتنبي: **(بحر البسيط)**

فارقتكـمْ فـإذا مـا كان عندكـمُ قبـلَ الفـراقِ أذىً، بعـد الفـراق يـدُ
إذا تذكـرت مـا بينـي وبينكـمُ أعـانَ قلبي علىٰ الشـوقِ الـذي أجدُ

❁ ❁ ❁

الحُب والأذى

قال أسماء بن خارجة الفزاري مخاطبًا زوجتَه: **(بحر الطويل)**

خُذِي العَفْوَ منّىٰ تستديمي مودّتي ولا تنطقي في سَوْرتي حينَ أغضبُ
فإنّي رأيتُ الحبَّ في القلبِ والأذىٰ إذا اجتمعا لـم يَلْبثِ الحبُّ يذهبُ

❁ ❁ ❁

تَلَفُّتُ القلب

قال الشريف الرَّضي: **(بحر الكامل)**

ولقـد مـررتُ علـىٰ ديارهِـمُ وطُلُولُهـا بِيِـدِ البلِـىٰ نَهْـبُ
فوقفـتُ حتـىٰ ضـجَّ مـن لغَـبٍ نِضْـوِيْ، ولـجَّ بعذْلـيَ الرَّكْـبُ
وتَلَفَّتَـتْ عينـيْ، فَمُـذْ خَفِيَـتْ عنِّـي الطُّلـولُ تَلَفَّـتَ القلـبُ

❁ ❁ ❁

من الحِمام إلى الحِمام

قال أبو الطيب المتنبي: (بحر الوافر)

يقـول لـي الطبيـبُ: أكلـتَ شـيئًا وداؤكَ في شـرابِكَ والطَّعـامِ
ومـا في طِبِّـهِ أني جـوادٌ أضـرَّ بجسـمِهِ طـولُ الجِمـامِ
تعـوَّدَ أن يُغَبِّـرَ في السـرايا ويدخـلَ مِـن قتـامٍ في قتـامِ
فإن أمرضْ فما مَرِضَ اصطباري وإن أُحْمَـمْ فمـا حُـمَّ اعتزامـي
وإن أسـلم فمـا أبقـىٰ ولكـن سَـلِمْتُ من الحِمـامِ إلىٰ الحِمـامِ

❁ ❁ ❁

إعراضٌ كريم

قال زُهير بن أبي سُلمىٰ: (بحر الطويل)

وذي خطَـلٍ في القـولِ يحسَـب أنَّـهُ مُصيـبٌ فمـا يُلمِـم بـه فهْـو قائلُـهْ
عَبَـأتُ لـه حِلمًـا، وأكرمـتُ غيـرَهُ وأعرضْـتُ عنـهُ وهـو بـادٍ مقاتلُـهْ



هَمٌّ مُنتشِر

وقال كعبُ بن زهير: (بحر البسيط)

لـو كنـتُ أعجَبُ من شيءٍ لأعجبَني ... سعيُ الفتىٰ وهْوَ مخبوءٌ لـه القـدَرُ

يسعىٰ الفتىٰ لأمورٍ ليس مُدرِكَها ... فالنفـسُ واحـدةٌ والهـمُّ منتشـرُ

والمـرءُ مـا عـاشَ ممـدودٌ لـه أمَـلٌ ... لا تنتهـي العيـنُ حتىٰ ينتهي الأثَـرُ

❁ ❁ ❁

لِينُ العزَّة

قال أبو الشيص الخزاعي: (بحر الطويل)

كريـمٌ يغـضُّ الطـرفَ فضـلُ حيائـهِ ... ويدنـو وأطـرافُ الرِّمـاح دَوانِ

وكالسّـيفِ إن لاينتَـه لانَ مسُّـهُ ... وحـدَّاهُ إن خاشَـنتَهُ خَشِـنانِ

❁ ❁ ❁

لولا بُنيّات..

وقال حطّانُ بن المعلّىٰ: (بحر السريع)

لـولا بُنيَّـاتٌ كزُغْـبِ القَطـا ... رُدِدْنَ مـن بعـضٍ إلـىٰ بعـضِ

لـكان لـي مُضطَـرَبٌ واسـعٌ ... في الأرضِ ذاتِ الطـولِ والعَـرضِ

وإنمـا أولادنُـا بيننـا ... أكبادُنـا تمشـي علـىٰ الأرضِ

لـو هبَّـتِ الريـحُ علـىٰ بعضِهـمْ ... لامتنعَـت عينـي مـن الغَمـضِ

زجاجة بشرية

وقال قيس بن الملوّح: (بحر الطويل)

أُقضِّي نهاري بالحديثِ وبالمنىٰ ... ويجمعُني والهمَّ بالليلِ جامعُ

لقد ثبتَتْ في القلبِ منكِ محبَّةٌ ... كما ثبتَتْ في الراحتين الأصابعُ

وأنتِ التي صيَّرتِ جسمي زجاجةً ... تنِمُّ علىٰ ما تحتويه الأضالعُ

❁ ❁ ❁

قتل الأحرار

قال أبو الطيب: (بحر الطويل)

وما قتَلَ الأحرار كالعفوِ عنهم ... ومن لك بالحرِّ الذي يحفظ اليدا؟

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندىٰ في موضع السيف بالعلا ... مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندىٰ

❁ ❁ ❁

هوى الفؤاد

وقال: (بحر الخفيف)

صارَ ما أوضعَ المخِبُّون فيه ... من عتابٍ زيادةً في الوِدادِ

وكلامُ الوشاةِ ليس علىٰ الأحـ ... ـبابِ، سلطانُه علىٰ الأضْدادِ

إنما تُنْجِحُ المقالة في المر ... ءِ إذا صادفتْ هوًىٰ في الفؤادِ

مماطلة..

قال الشاعر: **(بحر البسيط)**

إن كنتَ لـم تنوِ فيما قلتَ لـي صلةً فمـا انتفاعُـك من حبسي وترديدي؟

فالمنـعُ أجملُـه مـا كان أعجلَـهُ والـمَطلُ مـن غيـر عُسرٍ آفـةُ الجودِ

❁ ❁ ❁

شيمتك الحياء

وقال أمية بن أبي الصلت: **(بحر الوافر)**

أأذكـرُ حاجتـي؟ أم قـد كفـاني حيـاؤكَ؟ إن شـيمتَكَ الحيـاءُ

وعلمُـك بالحقـوقِ وأنـتَ فـرعٌ لـك الحسَـبُ المهـذَّبُ والسـناءُ

إذا أثنـىٰ عليـك المـرءُ يومًـا كفـاهُ مِـن تعرُّضِـه الثنـاءُ

❁ ❁ ❁

لا أرى أحدا

قال دعبل الخزاعي: **(بحر البسيط)**

مـا أكثـرَ النـاسَ! لا بَـلْ مـا أَقلَّهـمُ! اللهُ يَعْلَـم أَنِّـي لـم أَقُـلْ فَنَـدَا

إنِّـي لأفتـحُ عَيْنـي حِيـنَ أَفْتَحُهـا علـىٰ كَثيـرٍ، ولكـن لا أرَىٰ أحـدا

لم يستوفِ قط كريم

قال الخطَّابي: **(بحر الطويل)**

تسامحْ ولا تستوفِ حَقَّكَ كُلَّهُ وأبقِ، فلم يستوفِ قطّ كريمُ

ولا تغلُ في شيءٍ من الأمرِ واقتصدْ كلا طرفي قَصْدِ الأمورِ ذميمُ

❁ ❁ ❁

نوم مشرَّد

قال أبو تمام: **(بحر الطويل)**

ولم تعطني الأيامُ نومًا مُسَكَّنًا أَلَذُّ به إلا بِنومٍ مشرَّد

وطولُ بقاءِ المرء في الحي مُخْلِقٌ لدِيباجَتَيهِ فاغتربْ تتجدَّدِ

فإني رأيت الشمس زيدتْ محبةً إلىٰ الناس أن ليست عليهم بسرمدِ

❁ ❁ ❁

أطعتُ مطامِعي

قال القاضي عبد الوهاب المالكي: **(بحر الوافر)**

طلبتُ المستقرَّ بكل أرضٍ فلم أرَ لي بأرضٍ مستقرًّا

ونِلْتُ من الزمان ونال مني فكان مناله حلواً ومُرًّا

أطعتُ مطامِعي فاستعبَدتْني ولو أني قنعتُ لكنت حُرًّا

قناة صليبة

قال إبراهيم النبهاني: **(بحر الطويل)**

تعـزَّ فـإنَّ الصـبرَ بالحُـرِّ أجمـلُ ... وليـس علـىٰ ريـبِ الزمـانِ معـوَّلُ

فـإن تكـن الأيـامُ فينـا تبدّلَـتْ ... ببُؤسىٰ ونُعمىٰ، والحـوادثُ تفعَلُ

فمـا ليَّنَـتْ منَّـا قنـاةً صليبـةً ... ولا ذلَّلتْنـا للتـي ليـس تجمُـلُ

ولكـن رحَلناهـا نفوسًـا كريمـةً ... تُحمَّـلُ مـا لا يُسـتطاعُ فتَحمِـلُ

❁ ❁ ❁

لزوم العصا

قال لبيد بن ربيعة: **(بحر الطويل)**

ومـا المـرءُ إلا كالشِّـهابِ وضوئِـه ... يحـورُ رمـادًا بعـدَ إذْ هـو سـاطعُ

أليـس ورائـي إن تراخـت منيَّتِـي ... لـزومُ العصـا تُحنىٰ عليهـا الأصابعُ

أُخَبِّـرُ أخبـارَ القـرون التـي مضـتْ ... أَدِبُّ كأني كلمـا قمـتُ راكـعُ!

❁ ❁ ❁

خاتل يدنو لصيد

قال أبو الطمحان القيني: **(بحر الوافر)**

حَنَتْني حانِيـاتُ الدَّهـر حتـىٰ ... كأني خاتِـل يدنـو لصيـدِ

قريـبُ الخطـوِ يحسَـبُ مَـن رآني ... -ولسـت مقيَّـدًا- أني بقيـدِ

قذى عينيه

قال عبد الله بن الزَّبير: (بحر الطويل)

سأشكرُ عَمْرا ما تَراخَت مَنِيَّتي أيادِيَ لم تُمنَنْ وإن هيَ جَلَّتِ

فتىً غيرُ محجوبِ الغِنىٰ عن صديقِهِ ولا مُظْهِرِ الشَّكوىٰ إذا النَّعلُ زَلَّتِ

رأىٰ خَلَّتي من حيثُ يخفىٰ مكانُها فكانت قَذىٰ عينيهِ حتىٰ تَجَلَّتِ

❁ ❁ ❁

منه شيبانُ

قال ابن الرومي: (بحر البسيط)

قالوا أبو الصقرِ من شيبانَ قلتُ لهم: كلا لعمري، ولكن مِنْهُ شيبانُ

وكم أبٍ قد علا بابنٍ ذُرىٰ شَرفٍ كما علا برسول الله عدنانُ

تَسمو الرجال بآباءٍ، وآونةً تسمو الرجال بأبناءٍ وتزدانُ

❁ ❁ ❁

صبر الراس

قال أعرابي: (بحر الكامل)

اصبر نكن لَّك تابعين فإنما صبر الجميع بحُسْنِ صبر الراسِ

خيرٌ من العباسِ أجرُك بعده والله خيرٌ منك للعباسِ

إحدى يدي أصابتني

قال أعرابيٌّ: **(بحر البسيط)**

أقـولُ للنفـسِ -تَأْسـاءً وتعزيـةً-: إحـدىٰ يـديَّ أصابتنـي ولـم تُـرِدِ

كلاهمـا خَلَـفٌ مِـن فَقْـدِ صاحِبِـهِ هـذا أخي حيـن أدعـوه، وذا ولَدي!

❁ ❁ ❁

قومٌ سواء

وقال أعرابي يهجو قومًا من طيء: **(بحر الوافر)**

ولـمّا أن رأيـتُ بنـي جويـنٍ جلوسًـا ليـس بينهـمُ جليـسُ

يئسـتُ مـن التـي قـد جئتُ أبغي لديهـم، إننـي رجـلٌ يـؤوسُ

إذا مـا قلـتُ أيُّهـمُ لأيٍّ تشـابهت المناكـبُ والـرؤوسُ

❁ ❁ ❁

حجة اللئام

قال المتنبي: **(بحر الخفيف)**

ذلَّ مـن يغبـط الذليـل بعيـشٍ رُبَّ عيـشٍ أخـفُّ منـه الحمـامُ

كل حلـمٍ أتـىٰ بغيـر اقتـدارٍ حجـةٌ لاجـئٌ إليهـا اللئـامُ

مـن يَهُـن يسـهل الهـوان عليـه مـا لجـرحٍ بميـتٍ إيـلامُ

سهل فيها إذا هو كانا

وقال أيضا: **(بحر الخفيف)**

وَلـوَ انَّ الحيـاةَ تبقـىٰ لحـيٍّ لعددنـا أضلَّنـا الشـجعانا

وإذا لـم يكـن مـن المـوتِ بُـدٌّ فَمِـنَ العَجْـزِ أن تكـونَ جبانـا

كلُّ مـا لـم يكن، من الصعب في الأنـ ـفس، سـهلٌ فيهـا إذا هـو كانـا

❁ ❁ ❁

رجال الحقائق

قال الوزير ابن المغربي: **(بحر الطويل)**

مـررتُ بقـبرِ ابـنِ المبـارك غُـدوةً فأوسَـعَني وَعْظًـا، وليـس بناطـقِ

وقدْ كنتُ بالعلمِ الذي في جوانِحي غَنِيًّـا، وبالشـيبِ الـذي في مَفارِقـي

ولكـنْ أرىٰ الذِّكـرىٰ تنبِّـه غافِـلا إذا هـي جـاءتْ مِـن رجـالِ الحقائقِ

❁ ❁ ❁

حقيقة الفخر

وقال أبو الأسود الدؤلي: **(بحر البسيط)**

كم من حسيبٍ أخي عِيٍّ وطمطمةٍ فـدمٍ لـدىٰ القـومِ معـروقٍ إذا انتسبا

في بيـت مكرمـةٍ آبـاؤه نُجـبٌ كانـوا رؤوسًـا فأمسـىٰ بعدهـم ذنبـا

وخامـلٍ مقـرفِ الآبـاءِ ذي أدبٍ نـال المعالـيَ بـالآداب والرتبـا

وربُّ الدار كاره

قال ابن قدامة: **(مجزوء الكامل)**

لا تَجْلِسَنَّ ببابِ مَن يأبىٰ عليكَ دخولَ دارِهْ
وتقولُ: حاجاتي إليـهِ يَعُوقُها إن لم أُدارِهْ
اتركْه واقْصِدْ ربَّها تُقضىٰ، وربُّ الدار كارهْ!

❁ ❁ ❁

شكر يستوجب الشكر

قال محمود الوراق: **(بحر الطويل)**

إذا كان شكري نعمةَ الله نعمةً علَيَّ له في مثلِها يجب الشُّكْرُ
فكيف بلوغُ الشكرِ إلا بِفَضْلِهِ وإن طالتِ الأيامُ واتَّصل العُمْرُ

❁ ❁ ❁

سُلَّمُ الرَّجاء

قال الإمام الشافعي: **(بحر الطويل)**

ولما قَسا قَلْبي وَضاقتْ مذاهبي جعلتُ رجائي دونَ عفوِك سُلَّما
تَعاظَمَني ذنبي فلما قَرنتُهُ بعفوِك ربي كان عفوُكَ أعظما
فَما زلتَ ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو مِنَّةً وتَكَرُّما

الفصل الثاني
شرح المختارات

شرح بيتي: (وهو منطلق)

قال جُؤَيَّة بن النَّضْر[1]:

إِنـا إِذا اجْتمعـتْ يَوْمًـا دَراهِمنـا ظَلَّتْ إِلىٰ طُرقِ الْمَعْرُوف تَسْتَبِقُ

اشتكت امرأة هذا الشاعر إليه سرعةَ فَناءِ أموالهم، فقال لها: إن دراهمنا إذا اجتمعت تسابَقت إلىٰ مسالك المعروف، وتسارعت إلىٰ طُرق الخيرات.

لاَ يأْلَفُ الدِّرْهمُ المضْرُوبُ صُرَّتَنَا لكِـنْ يَمُـرُّ عَلَيهَـا وَهْـوَ مُنْطَلِـقُ!

الدرهم المضروب: المسكوك أو المختوم. والدراهم المسكوكة هي التي كان الناس يتعاملون بها، وبالسكّ يتميز الدِّرهم الخالص من الدرهم المغشوش. والصُّرَّة: تُحفَظ بها الدراهم.

يقول: ولقد بلغ مِن كرمنا أن الدرهم لا يألف صُرَّتنا ولا يستقر بها، وإنما يمر عَلَيْهَا مرورًا ثم ينطلق إلىٰ سبل المعروف، فالدراهم لا تَستقر وتُخَلَّد إلا في صُرَّةِ البخيل.

وتعبيره هنا بالاسم (منطلق) أبلغ من التعبير بالفعل (ينطلق)، لأنَّ الاسم فيه معنىٰ الثبوت والاستقرار، والفعل فيه معنىٰ الحدوث والتجدد، والشاعر يريد أن يُثبت للدرهم صفة الانطلاق من غير إشعار بتجدد وحدوث، قال عبد القاهر الجرجاني معلقـاً علىٰ هذه الكلمة في البيت: (هذا هو الحسَنُ اللائق بالمعنىٰ، ولو

(١) شاعر إسلامي متقدم، ترجمته شحيحة، وهذه القطعة المنتخبة هي ضمن أربعة أبيات اختارها أبو تمام في ديوان الحماسة.

قلتَه بالفعل (ينطلق) لم يحسُن)[1].

وقد أخذ أبو الطيب المتنبي هذا المعنىٰ فقال:

وكلَّما لقي الدينارُ صاحبَه في مُلكه افترقا من قبل يصطحبا!

(1) دلائل الإعجاز ١/ ١٧٥، وانظر: خصائص التركيب أ.د.محمد أبو موسى (٢٩٦).

شرح أبيات: (دَبيب الكُسالى)

قال حَوطُ بن رِئاب الأسدي[1]:

دَبَبْتَ للمَجْدِ والسَّاعون قد بَلَغُوا جَهْدَ النُّفوسِ وألقوا دونَه الأُزُرا

دببتَ: الدبيب هو المشي المتئد.

والساعون: جمع الساعي وهو الماشي بسرعة وجِد.

قد بلغُوا جَهْد النُّفُوس: أي بلغوا التَّعب والمشقة.

الأُزُرا: جمع إِزَار، وإلقاء الإزار كناية عن الاجتِهَاد فِي طلب الشَّيْء.

والمعنىٰ أنك تدب دبيبًا نحو المجد، ومع ذلك ترجو أن تصل لمبتغاك، وغيرك بذل جهدًا عظيمًا في السعي إليه، وألقىٰ إزاره دون ذلك، فلن تصل إلىٰ مبتغاك، ولن تكون مثل الساعين بحال من الأحوال.

فكابدوا المجد حتىٰ ملَّ أكثرهم وعانَقَ المجدَ مَنْ أَوفىٰ وَمَنْ صبَرا

فكابدوا المجد: تحمَّلوا ما عرض لهم من المشاق في سبيلِ تحقيقه.

وعانق المجد: حققه ووصل إليه.

مَن أوفىٰ: مِن الوَفَاء.

ومَن صَبَرا: أي علىٰ الشدائد والصعاب التي عرضت دونه.

---

(١) شاعر مخضرم، من بني ثعلبة بن دودان من بني أسد، اشتهر في الجاهلية، وأدرك الإسلام.

والمعنىٰ أن المجد الذي دببت إليه، اجتهد آخرون في طَلَبه، وأكثر هؤلاء الذين سعوا واجتهدوا مَلُّوا أيضا وتوقفوا، ولم ينل المجد إلا أهل الصَّبْر علىٰ الشدائد.

لا تحسَبِ الْمجدَ تمرا أنتَ آكلُهُ لن تبلغَ المجدَ حتىٰ تَلْعَقَ الصَبِرا

وَالصَّبِر: بِكسر البَاء عصارة شَجَر مُرّ.

والمعنىٰ: لا تتوهَّم أن تحصيلَ المجد سهل يسير يُنال بملازمة وسائد الراحة، والتقلب علىٰ المضاجع في الفرش الوثيرة، فإنه لن يُنال إلا بتحمُّلِ المشاقّ وتجرُّع المرارات والصبر علىٰ العوارض والصوارف.

استشهاد لطيف:

قال أبو نصر هارون بن موسىٰ[1]: كنا نختلف إلىٰ أبي علي القالي -رحمه الله- وقت إملائه النوادرَ بجامع الزهراء، ونحن في فصل الربيع، فبينا أنا ذات يومٍ في بعض الطريق إذ أخذتني سحابة، فما وصلت إلىٰ مجلسه -رحمه الله- إلا وقد ابتلَّتْ ثيابي كلُّها، وحَوَالَي أبي علي أعلامُ أهلِ قرطبة، فأمرني بالدنوِّ منه وقال لي: مهلا يا أبا نصر! لا تأسف علىٰ ما عرض لك! فهذا شيءٌ يضمحلُّ عنك بسرعةٍ بثياب غيرِها تبدِّلها، ولقد عرض لي ما أبقىٰ بجسمي ندوبًا تدخل معي القبرَ، ثم قال لنا: كنت أختلف علىٰ ابن مجاهد رحمه الله فأدلجت إليه لأتقرَّبَ منه. فلما انتهيتُ إلىٰ الدرب الذي كنت أخرج منه إلىٰ مجلسه ألفيته مغلقا ورَاثَ (أي تعسَّر) عليَّ فتحُه. فقلت: سبحان الله أبكر هذا البُكور، وأُغلب علىٰ القرب منه؟!

فنظرتُ إلىٰ سربٍ بجنب الدار فاقتحمته، فلما توسطته ضاق بي، ولم أقدر علىٰ الخروج ولا علىٰ النهوض، فاقتحمتُه أشدَّ اقتحامٍ حتىٰ نفذتُ بعد أن تخرقتْ

---

(١) إنباه الرواة للقفطي (٣/ ٣٦٢).

ثيابي، وأثر السَّرَبُ في لحمي حتىٰ انكشف العظم، ومنَّ الله علي بالخروج، فوافيت مجلس الشيخ علىٰ هذه الحال. فأين أنت مما عرض لي؟ وأنشدَنا:

دَبَبْـتَ للمَجْـدِ والسَّـاعون قـد بَلَغُوا   جَهْـدَ النُّفـوسِ وألقـوا دونَـه الأُزُرا

فكابـدوا المجـد حتىٰ مَـلَّ أكثرُهـم   وعانَـقَ المجـدَ مَـنْ أَوفىٰ وَمَـنْ صبَرا

لا تحسَـبِ الْمجـدَ تمـرا أنـتَ آكلُـهُ   لـن تبلـغَ المجدَ حتـىٰ تَلْعَـقَ الصَبِرا

قال أبو نصر: **فكتبناها عنه من قبل أن يأتي موضعها في نوادره، وسَلَّاني بما حكاه، وهان عندي مَا عَرَضَ لي من تِلكَ الثياب، واستكثرت من الاختلاف إليه، ولم أفارقه حتىٰ مات رحمه الله.**

شرح أبيات: (صخرة الأسرار)

قال مِسْكين الدارمي[1]:

وفتيانِ صدقٍ لَسْتُ مطلعَ بعضِهِم ... علىٰ سِرِّ بعضٍ غيرَ أَني جِمَاعُها

وفتيانِ: بالجر، والتقدير: وربَّ فتيانِ.

وأضاف الفتيان إلىٰ الصدقِ، كما يقال: فتيان خير، والمعنىٰ أنهم صادقون في ودادهم.

جِماعها: الجِماع: اسم لما يجمع به الشيء، أي جِماع الأسرار.

فيقول: ربَّ فتيانٍ وثقوا بي، واستناموا إليَّ، واستودعوني أسرارهم، وجعلوا فؤادي موئلَها، لا أطلعُ بعضَهم علىٰ أسرارِ بعضٍ.

لكلِّ امرئٍ شِعْبٌ مِنَ الْقَلْبِ فارِغٌ ... وموضعُ نجوىٰ لا يُرامُ اطِّلاعُها

لكل واحدٍ من هؤلاء الفتيان مكان في الفؤاد لا يشركه فيه غيره، قد فُرِّغ لنجواه وخُصَّ بأحاديثه، وقد انقطعت أطماع الخلق من الاطلاع عليه.

يَظَلُّونَ شتىٰ في البلاد، وسرُّهم ... إلىٰ صخرةٍ أعيا الرجالَ انْصداعُها

---

(١) ربيعة بن عامر بن أُنيف بن شريح الدارميّ التميمي، شاعر عراقي أموي، لُقِّب مسكينا لأبيات قال فيها: (أنا مسكين..)، ومن شعره المشتهر في كتب النحاة:

(أخاك أخاك، إن من لا أخا له *** كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح).

يظلون شتىٰ في البلاد: أي يغيبون عنه، ورغم ذلك يبقىٰ سرهم في موضِعه مكتومًا لا يَرِيم ولا يَبرح، فلا يحمله ابتعادهم عن ناظريه علىٰ الإفضاء بما استودعوه من أسرار، كأن سِرَّهم أُودِعَ صخرةً صمَّاء قوية أعجز الرجالَ صَدْعُها وشَقُّها لو أرادوا ذلك.

وقوله: (إلىٰ صخرة) أي هو مضمومٌ إلىٰ صخرة.

وقد أشار مسكين الدارمي في أبياته الثلاثة إلىٰ ثلاثةِ معانٍ متظاهرةٍ في توكيد الكتمان:

أحدها: أن إفضاء أحد من الناس بأسراره إليه لا يحمل مسكينًا علىٰ أن يفضي بأسرار الآخرين إليه، فهو لا يطلع بعضهم علىٰ أسرار بعض. فكثير من الناس حينما تبوح له بأسرارك يثيبك بكشف أسرار الآخرين لك.

الثاني: أن اقتراب أحدهم كابتعاده، له في الحالين موضع من القلب فارغ لا يرام الاطلاع عليه.

الثالث: شبه صدره بالصخرة التي لا تنصدع، ففي الصخرة معنىٰ الاستقرار والثبات علىٰ مرِّ الزمان وتبدلات الأحوال، وانقلاب المودة أو انحسارها، وهذا بخلاف حال كثير من الناس، فإنهم يحفظون الأسرار في حال الإلف والقرب، وينشرونها في حال العداوة والبعد.

شرح أبيات: (مقابر المحاسن)

قال قَعْنَبُ بن ضَمْرة[1]:

إن يسمعوا رِيبةً طاروا بها فَرَحًا مِنِّي، وما سمعوا من صالحٍ دفنوا

مِنِّي: أي من جهتي.

يقول: إذا سمعوا عنِّي سيئة طاروا بها فرحا، وأشاعوها في الأقطار، وأذاعوها في الأمصار، وإذا سمعوا حسنةً منسوبة إلي كتموها ودفنوها كيلا يراها أحد من الناس.

صُمٌّ إذا سمعوا خيرا ذُكِرتُ به وإنْ ذُكِرتُ بِشَرٍّ عِنْدَهم أَذِنوا

صُمٌّ: أي هم صُمٌّ، أَذِنوا: اسْتَمَعوا. ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ [الإنشقاق:٢]، أي: استمعت لربها، وحُقَّ لها أن تَسْتَمِعَ وتُطِيع.

أي من شأنهم أنهم يمسون صُمًّا إذا ذُكِرت محاسِني، ويقال للمعرض عن الشيء: هو أصمٌّ عنه.

لكن إذا عُرِضت عيوبي وجدتهم أشدَّ الناس إنصاتًا واستماعًا.

وهذا المعنىٰ يُشبِه قول الشاعر:

إن يعلموا الخيرَ يُخفوه، وإن علموا شرًّا أذاعوا، وإن لم يعلموا كذبوا!

(١) قعنب بن ضمرة الغطفاني، شاعر أموي، يقال له: «ابن أم صاحب»، هجا الخليفة الوليد بن عبدالملك، وقد اشتهر له هذان البيتان المختاران في البرنامج.

شرح أبيات: (فليتك تحلو)

قال أبو فراس الحمداني (٣٥٧هـ)[١]:

إذا الخِـلُّ لَـمْ يَهْجُـرْكَ إلاّ مَلالَـةً ... فَلَيْـسَ لـهُ إلا الفـراقَ عتـابُ

إذا هجرَك خَلِيلُكَ بلا سبب يقتضي ذلك إلا الملل والسآمة؛ فلا خير لك في صُحبته، ولا ينفع في معاتبته إلا فراقُه!

وهذا المعنىٰ متوارد عند الشعراء، قال بشار:

إذَا كان ذوّاقـا أخـوك مـنَ الهـوىٰ ... مُوجَّهَـة في كلِّ أوب رَكَائبُـه

فَخَـلِّ لَـهُ وجـه الفِـرَاق وَلاَ تكُـن ... مَطِيَّـة رَحَّـالٍ كَثيـرٍ مَذاهبُـهْ

بِمَـن يَثِـقُ الإنسـانُ فيمـا يَنوبُـهُ ... ومِـنْ أيـنَ للحُـرِّ الكَريـم صِحـابُ؟

وإلّا فمَن الصاحبُ الذي يوثق فيه حين تنزل النازلة! ومن أين يجد الحُرّ صِحابا أصفياء؟!

وَقَـدْ صَـارَ هَـذَا النّـاسُ إلاّ أقَلَّهُـمْ ... ذِئابـا علـىٰ أَجسـادِهِنَّ ثيـابُ!

---

(١) هو الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي، أبو فِرَاس الحَمْدَاني: أمير، شاعر، فارس، وهو ابن عم سيف الدولة الذي كان يمدحه المتنبي، وقد كان الصاحب بن عباد يقول: بدئ الشعر بملك وختم بملك -يعني بالأول: امرأ القيس وبالثاني: أبا فراس-، جُرِح في معركة مع الروم، فأسروه، واشتهرت قصائده الروميَّات، وبقي عند الروم في القسطنطينية أعواما، ثم فداه ابنُ عمه سيف الدولة بأموال عظيمة. قال الذهبي: كانت لأبي فراس منبج، وتملَّكَ حمص، وسار ليتملك حلب، فقتل في تدمر.

فإن الناس قد أمسوا -إلا قليلا منهم- ذئابا تتقنّع بأقنعة البشر! فلستُ أجازي كل واحد من هؤلاء الذئاب بصنيع، **وقد روي عن سهل بن حنيف أنه قال (قال أبي لأنس بن مالك: «يا خال، إن الناس ليسوا بالناس الذي كنت تعهد، إنما هم الذئاب عليهم الثياب فاحذرهم»)**[1].

ومـــا كلُّ فَعّـــالٍ يُجازىٰ بِفِعْلِـهِ ... ولا كُـــلُّ قَـوالٍ لـــــديَّ يُجـابُ

وربَّ كلامٍ مَـرَّ فـوقَ مَسـامِعي ... كمـا طَـنَّ في لَـوحِ الهجيـرِ ذُبـابُ!

ولربما أثقلَ أحدُهم عليّ بالكلام الفاحش والسباب البذيء، فلم أُعرْه اهتماما، ولم أمنحه جوابا، ومرّ كلامُه فوق مسامعي كَما يمرُّ طَنين الذُباب في شدّة الحرّ.

فليتكَ تَحلو والحـــياةُ مَـــــريرةٌ ... وَلَيتـكَ ترضـىٰ والأنـام غضـابُ

وليـتَ الـذي بينـي وبينـك عامـرٌ ... وبيــــني وبيـن العالميـن خَـرابُ[2]

فليتك - أيها الخلّ - تحلو، ولا أبالي بمُرِّ الحياة بعد ذلك، وليتك - أيها الصفيُّ - ترضىٰ، وكل غضبٍ غير غضبك فهو هيّن.

---

(١) مسند ابن المبارك (٢٤٩).

(٢) وهذه من أشهر قصائد أبي فراس الحمداني تلك التي كتبها وهو في الأسر عند الروم، وهي ما اصطلح المؤرخون قديما وحديثا على تسميتها بالقصائد (الروميَّات)، وقد كُتبت الدراسات المفردة عن تلك القصائد على وجه الخصوص: في بيان خصائصها، وشرح أثر الأسر على نفسية أبي فراس وشعره الروميِّ المتقلِّب ما بين إقبال نفسه وإدبارها، ويأسها ورجائها، وطمعِهِ في سرعة الفداء من الأسر وما يصاحب ذلك من المبالغة في التودد والتلطف لابن عمه، ثم هيمنة الشعور بالخيبة والخذلان من الناس، وما يصاحب ذلك من ذمهم والزهد في مصاحبتهم، مع حضور واضح لنفسية القائد الجريح المخذول في الأسر، ومداواة تلك الجراح الراعفة بالركون إلى غرض الخيلاء والفخر، وغير ذلك من الأغراض والمعاني المتعددة، وهذه الأبيات المنتخبة من أشهر تلك (الروميات).

وهذان البيتان الأخيران في هذه القطعة متوجهان لسيف الدولة علىٰ وجه الخصوص، وفيهما نوعُ مبالغةٍ وخروجٍ عن المعتاد في مخاطبة البشر، لذلك كثيرًا ما يجريان علىٰ ألسنة الناس في باب الابتهال إلىٰ الله تعالىٰ والركون إليه، لاسيما حين يستحوذ علىٰ أحدهم شعور الخذلان من الناس واليأس من تحصيل رضاهم، وقلَّما استشهد بهما أحد في هذا الغرض الشريف إلا وجد سلوانًا وبردًا في قلبه.

ومِثْلُهُما قولُ المتنبي في حقِّ سيف الدولة:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به مما أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ... ولا يهيضون عظما أنت جابره

قال ابن كثير -رحمه الله-: **بلغني عن شيخنا العلامة شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله أنه كان ينكر علىٰ المتنبي هذه المبالغة في مخلوق، ويقول: إنما يصلح هذا لجناب الله سبحانه وتعالىٰ. وأخبرني العلامة ابن القيم رحمه الله أنه سمع شيخ الإسلام يقول: ربما قلت هذين البيتين في السجود أدعو الله بما تضمناه من الذل والخضوع**[1].

(١) البداية والنهاية (١٥/ ٢٧٥)، وأشار له ابن القيم في شفاء العليل (٢٠).

شرح أبيات: (الغلوُّ ذريعةُ الانتِقاص)

قال ابن الرومي (٢٨٣هـ) [1]:

إذا مـا وَصَفْـتَ امـرأً لامـرئٍ ... فَـلا تَغْـلُ في وَصْفِـه واقصِـدِ

إذا وصفت امرأً غائبا فلا تبالغ في الثناء عليه، وعليك بالتوسط والاعتدال في ذلك، لأن زيادة الثناء تأتي بنقيض المقصود كما سيتبين.

فإنَّــك إن تغــلُ تغـلُ الظُّنـو ... نُ فيــهِ إلـىٰ الأمَـدِ الأَبعـدِ

إنك إن غلوت فيه غَلَت الظنون البشرية وجنحت التوهمات النفسية فيه إلىٰ مدىٰ بعيدٍ يتجاوز حقيقتَه، فإذا حضر وشوهِدَ طفقت النفوس تطالبه بما هو خارجٌ عن طاقَتِه، فكان ذلك المدح وبالا عليه، فالمدح الزائد يبطل سحر الدهشة، ويجعلك

---

(١) علي بن العباس بن جريج الرومي، شاعر كبير هَجَّاء، من طبقة المتنبي موهبةً، روميُّ الأصل، كان جدُّه من موالي بني العباس، وُلد ونشأ ببغداد، ومات فيها مسموما، قيل: دس له السمَّ القاسم بن عبيد الله (وزير المعتضد)، وكان ابن الرومي قد هَجاه، وقال ابن خلكان: صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب، يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكامنها، ويبرزها في أحسن صورة، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره، ولا يبقي فيه بقية. وأبرع ما اشتهر به ابن الرومي الوصف، وكان يغالي فيه العقاد ويقول: لست أعرف فيمن قرأت لهم من مشارقة ومغاربة أو يونان أقدمين وأوربيين محدثين شاعرا واحدا له من الملكة المطبوعة في التصوير مثل ما كان لابن الرومي. ومن أشهر شعره داليَّتُه في رثاء ولده محمد. قيل -في قصة موته-: إن القاسم بن عبيد الله الوزير كان يخاف من هجو ابن الرومي، فدس عليه طعاما مسموما فأحس بالسم، فوثب، فقال الوزير: إلى أين؟ قال: إلى موضعٍ بعثتني إليه. قال: سلِّمْ على أبي. قال: ما طريقي على النار! فبقي بعدها أياما، ومات. كتبَت عنه بعض الدراسات المعاصرة نحو كتاب «ابن الرومي حياتُه من شِعره» لعباس محمود العقاد.

تتطلب المزيد مهما كانت حقيقة الممدوح، وإذا تكلم المرء بما يحسن دون أن تثار حوله جعجعة مديح مسبقة؛ انتزع الإعجاب وأثار الانبهار.

فينقُـصُ مِــن حيــث عَظَّمْتَــه لفَضــلِ المغيــبِ علــىٰ المشــهدِ

فَيَحْصُل خلافُ مقصودِكَ، وينقص قدره من جهة تعظيمك إياه، وذلك لأن الخبر عن الغائب يكون فوق حقيقة الحالِ في العادة.

ولهذا المعنىٰ يتحاشىٰ كثيرٌ من الأذكياءِ أن يأخذَ الناسُ عنه انطباعا كاذِبا ولو كان مَدحا، وذلك لمعرفته العميقة أن النَّاس بِقَدْرِ ما يرفعون المرءَ فوق مرتَبته، فإنهم إذا لم يجدوا في الواقع ما يصدِّق تلك الانطباعات المتوهَّمة فإنهم يقفزون فورا إلىٰ الشطّ الآخر، ويبالغون في خَفْضه وحَطِّه حتىٰ عن مَرْتبته الحقيقيَّة، فَبِقَدر الارتفاع الكاذب يكون الإسقاطُ الجائر، وقد أشار إلىٰ هذا المعنىٰ الدقيق أبو عبد الله ابن القيم -رحمه الله- فذكر أن (**مِنَ المدحِ ما يكون ذَما وموجِبا لسقوط مرتبة الممدوح عند الناس، فإنه يُـمْدَح بما ليس فيه فتطالبه النفوس بما مُدح به، وتظنُّه عندَه، فلا تجده كذلك فتنقلب ذَمّا، ولو تُرِك بغير مدحٍ لم تحصُلْ له هذه المفسدة**)[1].

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٤١٠).

شرح أبيات: (شقاء المحب)

قال أحدهم[1]:

وما في الأرض أشقىٰ مِن محبٍّ	وَإن وجد الهوىٰ حلوَ المذاقِ
تـراهُ باكيا في كل حِينٍ	مَخَافَة فرقةٍ أَو لاشتياقِ
فيبكي إِن نأوا شوقًا إِلَيْهِم	ويبكي إِن دنوا خوف الْفِرَاقِ
فتَسْخَن عينُه عِنْد التنائي	وتَسْخَن عينُه عِنْد التلاقي

أكثر الناس يعانون من محبوباتهم أكثر من مبغوضاتهم، لذا قال أحد المحبين القدامىٰ متألما ومصورا اتحاد النعيم والعذاب والحلاوة والمرارة في ذاتٍ واحدة:

أنتِ النَّعيم لقلبي والعذابُ له	فما أمرَّكِ في قلبي وأحلاكِ

وهذا كله في المحبوبات الدنيوية الفانية، فإنها كلما أوغلت في تلافيف الفؤاد كانت أشدّ ألما وأعظم أثرا، سواء ظفر المحب بالمحبوب أو لم يظفر به، وقد كان ابن تيمية -رحمه الله- يقول: (**فمن أحب شيئًا لغير الله فالضرر حاصل له إن وجد،**

---

(١) نسبتها مضطربة، وقد نسبها بعض المعاصرين لورد بن عمرو الجعدي، وهو شاعر جاهلي، استنادا منهم -والله أعلم- لعبارة موهِمة لشارح الحماسة المرزوقي، وفي النفس من هذه النسبة أشياء، فلغة الأبيات وروحها يوحي بزمن صاحبها، فهي إلى أشعار الإسلاميين أقرب، وهي على كل حال من أشعار ديوان الحماسة، ومما أملاه الزجاجي، وكان يستشهد بها ابن القيم رحمه الله في كتبه.

أو فقد، فإن فقد عذب بالفراق وتألم، وإن وجد فإنه يحصل له من الألم أكثر مما يحصل له من اللذة، وهذا أمر معلوم بالاعتبار والاستقراء)[1].

وهذه الأبيات الأربعة تفصِّل شيئا من هذا الشقاء الروحي للمحبين مع اختلاف الأحوال ما بين حال حصول المحبوب والظفر به، أو حال فقده والحرمان منه.

ومعنىٰ تَسْخَن عينُه: أي تبكي، ويقال إنَّ دمعة الغمِّ حارَّة، وهو نقيض: قَرَّت عينُه.

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٢٩).

شرح بيتي: (استسهال البدايات)

قال العباس بن الأحنف (١٩٢هـ)[١]:

الحبُّ أوّلُ ما يكون لجاجَةً ... تأتي به وتسوقه الأقدارُ

حتّىٰ إذا اقتحمَ الفتىٰ لُجَجَ الهوىٰ ... جاءتْ أمورٌ لا تُطاقُ كبارُ!

اختلف الناس في العشق، هل هو اختياريٌّ يسعىٰ إليه العاشق بمحض إرادته؟ أم هو اضطراريٌّ ينفذ إلىٰ القلب علىٰ حين غِرَّة ويحتل ضفافه علىٰ حين غفلة؟ إذ لا يتصور بعضهم كيف يسعىٰ الإنسان بقدميه إلىٰ ما فيه ذلّ نفسه وعذابها، فالعشق له تكاليف وتبعات -كما هو معلوم- تتنافىٰ مع أنفة الروح الكريمة.

عرض ابن القيم -رحمه الله- الخلافَ في هذه المسألة، ثم ذكر جوابا فصلا، وهو أن مبادئ العشق وأسبابه اختيارية داخلة تحت التكليف، فإن النظر والتفكر والتعرض للمحبة أمر اختياري، فإذا أتىٰ بالأسباب كان ترتب المسبب عليها بغير اختياره.[٢]

وهذا جواب محكم، فهناك مرحلة اختيار وقبول وتحرر للإرادة يذكرها العاشق جيدا، لكنه كان في أثنائها يعبث بالجمر بأصابعه، ويموِّلُ قلبه بما سلبه الإرادة وحرية

---

(١) العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفيّ، أصله من اليمامة في نجد، شاعر غزل رقيق، قال فيه البحتري: أغزل الناس، وكان أهله في البصرة، وبها مات أبوه، ونشأ هو ببغداد، وتوفي بها، وقيل بالبصرة، جعل غالب شعره في غرض الغزل، ولم يقل في المديح والهجاء إلا نزرا، وله أخبار مع هارون الرشيد وغيره.

(٢) ينظر: روضة المحبين (٢١٨).

التصرف لاحقا، بعدها وجد نفسه في مرحلة توافد المتاعب الكبار، وشعر فيها أنه أمسىٰ مسيرا لا مخيرا!

وقد أحسن العباس بن الأحنف في تصوير هاتين المرحلتين، وذكر أن أول الحب لَجاجةٌ من المحب، فيقال: لجَّ في غيِّه لجاجةً أي تمادَىٰ، ثم بعد ذلك التمادي منه وَفَدَت عليه الأمور الكبار التي لا تطاق!

شرح أبيات: (سباع بشرية)

قال أبو الطيِّب المتنبِّي (٣٥٤ هـ)[1]:

إنما أَنْفُسُ الأنيسِ سِباعٌ يَتَفارَسْنَ جَهْرةً وَاغْتيالا

أراد بالأنيسِ الناسَ، فجعل نفوسَ الناس مثلَ السِّباع الضارية، يفرسُ بعضها بعضًا إما مجاهرةً، وإما مخادَعَة ومخاتَلَة، كما تفعل السِّباع في الغابة.

مَنْ أَطاقَ الْتماسَ شَيءٍ غِلابا وَاغْتِصابا، لم يَلْتَمِسْهُ سؤالا!

الغِلاب: المغالبة. والاغتصاب: الأخذ بالقهر.

يقول: مَنْ قَدر على مرادِه بالغَصب والقوَّة، لم يطلبْه بالسؤال أو بالمخادَعة.

كُلُّ غَادٍ لحاجَةٍ يَتَمَنَّىٰ أن يكونَ الغَضَنْفَرَ الرِّئْبالا

الغدو في الأصل: الذهاب في وقت الغدوّ، وهو أول النهار، والمراد به في البيت: مطلقُ الذهاب، أيّ وقتٍ كان. والغضنفر والرئبال: مِنْ أسماء الأسد.

---

(١) أحمد بن الحسين أبو الطيّب الْجُعفيُّ الكوفيِ المتنّبي الشاعر، قيلَ بأنه ادعى النبوة في أولِ شأنه ثم رجع عن ذلك فسمي بالمتنبي، وكان هو ينكر وُقوعَ ذلك، أَكْثَرَ المُقامَ بالبادية لاقتباسِ اللغة، ونظر في فنون الأدب والأخبار وأيّام الناس، وتعاطى قوْلَ الشعر في صِغَره حتى بَلَغَ فيه الغاية، ومدح الملوكَ، وفي شعره ما يوحي بأنه كان يبحث عن وِلاية، وسارَ شعره في الدنيا في حياته وبعد مماته، وله الأمثال السائرة والمعاني المبتكرة، قال ضياء الدين نصر الله ابن الأثير: سافرت إلى مصر ورأيت الناس يشتغلون بشعر المتنبّي، فسألت القاضي الفاضل، فقال: إنّ أبا الطيّب ينطق عن خواطرِ الناس! مات مقتولا وعمره إحدى وخمسون سنة.

وقد كان الأستاذ محمود شاكر -رحمه الله- شديد الحفاوة والإعجاب بهذه الأبيات الثلاثة للمتنبي، ومن جملة ما كتب عنها: (أي دقة وأي هداية كانت لهذا الرجل الفذ الذي لو احتلْتَ علىٰ بعض ألفاظه أن تجد لها بديلا في كلامه لأفسدْتَ معنىٰ البيت وقوته وبيانه؟ فخذ مثلاً لفظ «الأنيس»، وتخيَّر ما شئت من حروف اللغة وضَعْهُ حيث وضع المتنبي لفظه، واقرأ وانظر وتدبر، هل يليق أو يسوغ أو يلين أو يستقر في مكانه من البيت؟ ضع مكانه «الإنس» أو «البشر» أو «الناس» أو «الأنام» أو ما شئت ، سواء استقام الوزن أو لم يستقم، تجدِ الفرقَ بين الاختيارين عظيما واسعا، فهو قد اختار اللفظ والبناء الذي يدل دلالة علىٰ المؤانسة والرفق والتلطف وإظهار المودة والظرف وحلاوة الشمائل ولين الطباع، ليَظْهر لك أنها تخفي تحت هذا كله طباعًا وحشيةً ضاريةً، مترفقة حينا وباغية أحيانا، فمهَّدَ للصورة التي أرادها باللفظِ الذي لا يُسْتَغْنَىٰ عنه في دِقَّةِ الصورة وحسن بيانها..)[1].

---

(١) جمهرة مقالات محمود شاكر (١/ ٢٩٨).

شرح أبيات: (لذة السعي إلى الأماني)

وقال أبو الطيب كذلك:

وأحلىٰ الهوىٰ ما شكَّ في الوَصْلِ رَبُّه وفي الهجرِ، فهو الدَّهرَ يرجو وَيَتَّقي

رَبُّه: صاحبه. والدهرَ: ظرف.

يقول: أحلىٰ الهوىٰ ما كان صاحبه مرتابًا في حصول الوَصْلِ متخوفًا من وقوع الهَجْر، فعامة الأماني إذا تحقَّقَت في الواقع فَقَدَت كثيرًا مِن بريقِها وبهجَتها، بخلافِ ما يتوهَّمه أكثر الناس من أن السعادةَ في تحقيق الأماني الدنيوية وحصولِها، والحقيقة التي يدركونها آخرَ المطاف هي أن السعادة الحقيقية تَكْمُنُ في السعي إلىٰ تحقيق الأماني وهي تلوح من بعيد وتَتَمَنَّع، ثم تقترب شيئا فشيئا، فإذا حصلت وألِفها المرء خبا شيء من وَهَجِها الـمُتَخَيَّل، ولذلك يقول الشاعر المتقدم:

لولا اطِّرادُ الخيلِ لم تك لذةٌ فتطاردي لي بالوصال قليلا!

ولم أرَ كالألحاظِ يومَ رَحيلِهم بَعَثْنَ بُكُلِّ القَتْلِ مِن كُلِّ مُشْفِقِ

الألحاظ: العيون. يقول: لم أرَ مثل صنيع العيون يوم رحيلهم، كيف اجتمع فيها القتلُ والشفقَة! وهذه هي عيون المحبوب المحبّ!

أَدَرْنَ عُيُونًا حائراتٍ كأنَّها مُرَكَّبَةٌ أحداقُها فوقَ زِئبَقِ

قيل بأن الضمير في (أدرن) لألحاظِ المودِّعات. وَرُوِيَ: (أدرنا) أي نحن أدرنا. فيقول: كنا نُقَلِّبُ عيونًا حائراتٍ عند وَدَاعِنا، لا تبصر شيئا مما دهانا من ألم الفراق،

فكأن العيون من كثرة حركاتها وقلة استقرارها كأنما وضعت أحداقُها على الزئبق، فهي حائرةٌ لا تسكن، ودائبة لا تفتر.

عشــيةَ يَعْدونــا عــنِ النَّظــرِ البُكــىٰ　　وَعَــنْ لــذَّةِ التَّوديــعِ خــوفُ التَّفــرقِ

عشية: وقت العشيَّة، أي كانت هذه الحالة وقت العشية. يَعْدونا: يمنعنا ويصدُّنا.

يقول: عشيَّة يصرفنا البكاء عن النظر إلىٰ من نحب، والبكاء يمنع من النظر وَيُقَلِّصه، لأن الدمع يحول بين العين وبين ما تشاهِده، فيمسي الباكي كمن يرىٰ من وراء زُجاجة محدّبة، ووصفه أبو حية النمري بقوله:

نظـرتُ كأني مـن وراء زجاجـةٍ　　إلىٰ الـدار مـن فـرط الصبابـة أنظرُ

فعينــاي طـوراً تغرقــان مــن البـكا　　فأعشـىٰ، وطـوراً تحسـران فأُبصِـرُ

وقول أبي الطيب (وعن لذة التوديعِ خوفُ التفرق): أي عشيةَ يعدونا ويصرفنا خاطر خوفِ الفراق عن لذة توديع الذين نحبهم.

(والأبيات الثلاثة الأخيرة في وَصْفِ لحظاتِ الوداع).

شرح بيتي: (استبداد الشعور)

قال الطِّرِمَّاحُ بنُ حَكيم (١٢٥هـ)[١]:

مَتىٰ مَا يَسُؤْ ظَنُّ امرئ بِصَدِيقِـهِ ... وللظنِّ أسبابٌ عِـراضُ المسـارِحِ
يُصَـدِّقْ أمـورا لـم يجئْـه يَقينهـا ... عليـه، ويعشـقْ سـمعُه كلَّ كاشِـحِ

الـمَسْرح بِفتح الميم المرعىٰ الذي تسرح فيه الدواب للرعي، وجمعه المسارح.

الكاشِح: العدو.

وكأنه شبه المرعىٰ الذي ترعىٰ فيه الدواب بالذهن الذي تجول فيه الخواطر والظنون.

يقول: إذا ساءَ ظنُّ المرءِ بصاحبه -وأسباب الظنِّ كثيرةٌ- فإنه يصدِّق عنه أمورا وأخبارا لم يتيقَّن من صِدقها ووقوعها، ويُرْخِي سمعَه لكلام كلِّ عدو كاشح، ولا يكتفي بمجرد السماع، بل إنه يأنس بذلك وتميل نفسه إليه، وَتَتَعَشَّقُه أُذُناه!

(١) الطِّرِمَّاح بن حَكِيم، شَامي المولد والمنشأ، شاعر إسلامي فَحل، انتقل إلى الكوفة، فكان معلِّمًا فيها، واعتقد مذهب الأزارقة، قال الأصمعي: لم نر أحدًا قط أعلم بالشعر من شعبة بن الحجاج (المحدِّث)، قال لي: كنت -قبل طلب الحديث- ألزم الطرمَّاح أسأله عن الشعر. وكان الإمام الطبري يحفظ ديوانه كاملا بغريبه ومعانيه. ومما يُستغرب في ترجمة الطرمَّاح أنه كان صديقا للكُمَيت الشاعر، لا يكادان يفترقان. قال الجاحظ: لم يرَ الناس أعجب حالا من الكُمَيْت والطرمَّاح، وكان الكُمَيْت عدنانيا عصبيًّا، وكان الطِّرماح قحطانيا عصبيًّا، وكان الكميت شيعيًّا من الغالية، وكان الطِّرمَّاح خارجيًّا من الصُّفرية، وكان الكُميت يتعصب لأهل الكوفة، وكان الطرمَّاح لأهل الشام، وبينهما مع ذلك من الخاصة والمخالطة ما لم يكن بين نفسين قط، ثم لم يجر بينهما صرم ولا جفوة ولا إعراض ولا شيء مما تدعو هذه الخصال اليه. وقيل للكميت ذَلِك: قَالَ اتفقنا على بغض الْعَامَّة.

فكلما هبت نسائم الظنون السيئة استقرتْ في جوف تربة العلاقة بِذرة التصديق المجرّد من الدليل لكل قائل، ولذلك يقول أبو الطيب المتنبي -وهي ضمن هذه المختارات-:

إنمـا تنجـح المقالـةُ في المَـر ... ءِ إذا صادفَـت هـوىً في الفـؤادِ

شرح بيتي: (قبول المعاذير)

قال أحدهم[1]:

اقبَـلْ مَعاذيـرَ مَـن يأتيـك مُعْتَـذِرا	إنْ بَـرَّ عِنـدكَ فيمـا قـالَ أو فَجَـرا
فَقَـدْ أَطاعـكَ مَـن يُرضِيـكَ ظاهِـرُهُ	وَقَـدْ أَجَلَّـكَ مَـن يَعْصِيـكَ مُسـتَتِرا

اقبلْ عُذرَ من اعتذر إليك سواء صدق في اعتذاره أو كذب فيه، ولا تفتش وراء هذا العذر الذي أبداه لك، فَيَكْفيك منه أن أرضاك ظاهرُهُ، وأنه لا يخالفك إلا في السِّرِّ إجلالا لك.

(١) مُضْطَرِبا النسبة في المصادر، وقد ذكرهما ابن عبدربه الأندلسي (٣٢٨هـ) في كتاب العِقْد دون نسبةٍ لقائل.

شرح أبيات: (حزازات النفوس)

هرب زفر بن الحارث الكلابي[1] في وقعة مرج راهط، وترك القتال، وقال معتذرا عن هروبه عدة أبيات، منها:

أَيَذْهَـبُ يـومٌ واحـدٌ إن أَسَـأْتُهُ ... بِصالـحِ أَيَّامـي وحُسْـنِ بلائيـا

يقول: إن لي من حسن البلاء في الحروب، والصبر عند المواقف، ما لا ينكره أحد، أفيذهبُ هذا كلّه ويُنسىٰ لأجل يوم واحد هربتُ فيه؟!

وَقَـدْ يَنْبُتُ المَرْعـىٰ علىٰ دِمَنِ الثَّرىٰ ... وَتَبْقَـىٰ حَـزازاتُ النفـوسِ كمـا هِيـا

المرعىٰ: يعني به النّبات الحسن المنظر، الطيب المطعم.

دِمَن الثّرىٰ: الثّرىٰ التراب، والدِمَن هو ما تخلّفه الماشية من أبوال وأبعار، فإذا نبَت موضعها كان خبيثاً فاسدا.

حزازاتُ النّفوس: جمع حزازة، وهي ما يحزّ في النفس من غيظ وغضب.

يقول: قد يصلح النبات الفاسد بعد خبثه، وتغسله الأمطار حتىٰ يذهب ما فيه من الوباء، أما حزازات النفوس فلا يكاد يغسلها شيء، وإنما تبقىٰ ساكنة في الفؤاد.

---

(١) زفر بن الحارث الكلابي، أبو الهذيل، أمير، كان كبير قيس في زمانه، شهد صفين مع معاوية أميرا على أهل قنسرين، وشهد وقعة مرج راهط مع الضحاك بن قيس الفهري، وقُتِل الضحاك، فهرب زفر إلى قرقيسيا، وبها عياض، فمنعه عياض من دخولها، فقال له زفر بن الحارث: أوثِّق لك بالطلاق والعتاق إذا أنا دخلت الحمام بها أن أخرج منها، فأذِن له فدخلها، فلم يدخل الحمَّام، وأقام بها وأخرج عياضا عنها، ولم يزل متحصنا فيها حتى مات، وكانت وفاته في خلافة عبد الملك بن مروان.

شرح أبيات: (ربما أفسد التمادي)

قال أعرابيٌّ[1]:

مـا لِعينـيْ كُحِلَـتْ بالسُّـهادِ　　وَلِـجَنْبي نابِيًـا عَـنْ وِسـادِي

السُّهاد: الأَرَقُ. نابيا من النَّبو: وهو العُلُوّ والارتفاع.

الوِسادُ: المِخَدَّةُ، وهو ما يوضع تحت الرأس.

يقول: ما بال عيني كأنها كُحِلَتْ بالسهرِ والأرق، فلا تكاد تذوق طعم النوم، وما بالُ جنبي مرتفعا قائما فلا يدع رأسي يستقر على الوِساد.

وقال: عينيْ. والمعنى العينان كلتاهما. وقال: جنبيْ: والمعنى الجنبان كلاهما.

لا أذوقُ النَّـومَ إلا غِـرارا　　مِثْـلَ حَسْـوِ الطَّيـرِ مـاءَ الثِّمـادِ

الغِرار: القليل. قال الأَصْمَعِيّ : غِرَارُ النوم قِلَّتُه.

الحسو للطائر كالشُّربِ للإنسَان، يقال: حسا يحسو حَسْوا، ولا يقال للطائر: شَرِبَ.

الثِّماد: الماء القليل الذي يكون في الحُفَر.

يقول: لا أذوق من النوم إلا مثلَ ما يحسو الطائر من الماء المجتمع في الحُفَر.

أَبتغـيْ إِصـلاحَ سُـعْدَىٰ بِـجُهْدي　　وهـي تَسـعىٰ جُهدهـا في فَسـادي

---

(١) قال المبرِّد: هذه أبيات أربعة أُنْشِدناها عن الزِّيَادي، وذُكِر أنه كان يستحسنها، وهي لأعرابي. والزِّيادي المقصود هو إبراهيم بن سفيان الزيادي، من أحفاد زياد بن أبيه: أديب، راوية، كان يشبّه بالأصمعي في معرفته بالشعر ومعانيه.

الجُهْد: الطاقة.

بهذا البيت دخل الأعرابي في تفسير سبَبَ شِكايته من اكتحال عينيه بالسهاد، ونبوِّ جنبيه عن الوِساد، وهو أنه يبذل طاقته في السعي لما يصلح أحوال سُعدىٰ، بينما هي بالمقابل تسعىٰ في بذل طاقتها في فسادِ أحواله.

وربما يُفْهِم من قوله: أنه يسعىٰ في صلاحِ أحوالها، أن سُعدَىٰ هي زوجة هذا الأعرابيِّ صاحب الأبيات، وأن سَعْيَه لصلاحِ أحوالها هو بأن تستقيم علىٰ ما يريده منها فتدومَ العِشرة بينهما، ففي هذه الحال يستقيم معنىٰ سَعيه لصلاح أحوالها وصلاح أحواله في آن.

فَتَتَاركنَا علىٰ غيرِ شيءٍ   رُبَّما أفسدَ طولُ التَّمادي

التتارك: ترك بعضنا بعضا.

التمادي: التمادي في الأمر الإلحاحُ فيه، وطولُ الإقامة عليه.

يقول: تتاركنا وهجر بعضُنا بعضًا علىٰ غير اتفاقٍ بينَنَا فيما يصلحُ أَحوالَنا، أو تتاركنا علىٰ غيرِ سَبَبٍ مُوجِبٍ لهذا التتارك.

ربما أفسد طول التَّمادي: ربما تَطاول هذا التتارك بيننا وتمادىٰ، فأَفسد حالَيْنَا وجعل استصلاح الأحوال عسرا للغاية. فالعلاقة بين المحبين إذا تكدرت وتأخر استصلاحها فإنها تتعقد حبالها، ويعسر عودة مياهها إلىٰ مجاريها، بعد أن شَقت المياه السابقة مجاري جديدة لها.

وهذا المعنىٰ يشبه قول العباس بن الأحنف في اثنين جرىٰ بينهما خلاف ولم يتصالحا:

إن التباعد إن تطاول منكما   دبَّ السلو له فَعَزَّ المطلبُ

وربما قصد الشاعر الأعرابي بالتَّمادي معنىٰ آخر، وهو أن تمادي صاحبته سُعدىٰ في حالها هو الذي صدَّع بنيان العلاقة، وقَطَّعَ حِبال الوِصالَ، وأفسد الأمور.

والمعنىٰ الأول أعمق، والثاني قريب. واللفظ يحتملهما.

شرح أبيات: (وملّت سليمى)

طُعِن صخرُ بن الشريد[1] في معركة قَاتَل فِيها قِتالا شديدا، فَمَرِض من جُرحه ولَزِمَ الفراش، وطال به مرضُه حولا كاملا، وكانت تقوم علىٰ رعايته وهو في تلك الحال أمُّه وزوجتُه، وكان بين زوجته وأُمِّه قديما شيء من الخصومة، وربما كان صخر يميل إلىٰ جانب زوجته، وأصبح قومه يعودونه وهو في فراشه أنهكه التعب، فَسَمِعَ يوما أحدَهم يقول لزوجته: كيف أصبح صخر اليوم؟ فقالت -وقد مَلَّت منه-: لا حيّا فيرجىٰ ولا ميْتا فيُنسىٰ! فَسِمِع صخر كلامَها فشقّ عليه جدا، وسَمِعَ آخر يقول لأمّه: كيف أصبح صخر اليوم؟ فقالت: أصبح بحمد الله صالحا، ولا يزال بحمد الله بخير ما رأينا سوادَه. أي ما رأيناه. وهمَّ صخر بقتل زوجته من الغَيْظ، ولم يستطع أن يحمِلَ السيفَ، فأنشأ يقول:

أرىٰ أمّ صخر لا تمل عيادتي   وملّت سليمىٰ مضجعي ومكاني

عيادتي: زيارتي مرةً بعد مرَّة، وغالبًا ما تُسمَّىٰ زيارة المريض عيادة، لأنَّها تعود مرةً بعد أخرىٰ.

يقول: أرىٰ أم صخر ما تفتأُ ترعاني وتقوم علي في مرضي وتصلح من حالي، أما زوجتي سليمي فقد سَئِمَت من ذلك، ومَلَّتْ مَضجعي ومَكاني.

فأيّ امرئ ساوىٰ بأمٍّ حليلةً   فلا عاش إلا في أذىٰ وهوان

---

(١) صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد السُّلَمي، أخو الخنساء الشاعرة. كان من فرسان بني سليم، ولأخته (الخنساء) شعرٌ كثير في رثائه ورثاء أخيه معاوية المقتول قبله، ومن مشهور ما قالته فيه:
وإن صخرًا لتأتمّ الهداة به   كأنه علم في رأسه نار.

حليلة: زوجة.

يقول: من كان يسوّي في المنزلة بين أمه وزوجته، ويقارب في الدرجة بينهما، فلا عاش إلا في أذىٰ وهوانٍ، وأين الأم من الزوجة؟!

لَعَمْري لقد نَبَّهْتِ مَن كان نائما وأسمعتِ من كانت له أذنان

يعني لما قالتْ عنه: (لا حيا فيرجىٰ، ولا ميتا فينسىٰ)، وحين ملَّت رعايته وعيادته كما تقدم في خبر القطعة.

فيقول: نَبَّهتِ بهذا الموقف الذي وَقَفْتِيه كلَّ أَحَدٍ حتىٰ النائم، وأسمعتِ كلَّ من كانت له أذنان! وأراد بهذا الكناية عن كون موقف سليمىٰ سيعتبر به كلُّ من بَلَغَهْ وعلِمَ به.

أَهُمُّ بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العَيرِ والنَّزَوان!

العَير: حمار الوحش.

ونزوان العير: وثوبه علىٰ أنثاه.

يقول: أهم بقتلها وشفاء صدري منها لو أستطيع ذلك! ولكن قد أقعدني مرضي فحيل بيني وبين ذلك كما حيل بين العير والنزوان.

وقد أرسل الشطر الأخير مثلا، يضرب فيمن يحول بينه وبين مقصوده شيء.

وما كنت أخشىٰ أن أكون جنازة عليكِ، ومن يغتر بالحدثان!

جنازة: قال الأصمعي وغيره: الجِنازة بالكسر الميت، والجَنازة بالفتح السرير[1].

---

(١) المصباح المنير (١/ ١١١).

والعرب تقول: هو عليه جنازة، إذا كان ثقيلا عليه.

الحدثان: مصدر حدث، أي ما يحدث من نوائب الزمان وصروف الدهر.

يقول: وما خشيت يوما أن أكون ثقيلا عليكِ، وما ظننت أن ذلك مكاني منك، ولكنَّ الناس يتبدل ودادُهم! ومن الذي يغتر بحوادث الزمان!؟

شرح بيتي: (الغياب الموجع)

قال مُهَلْهِلُ بنُ رَبيعةَ في رِثاء أخيه كُليب[١]:

نُبِّئْـتُ أنَّ النَّـارَ بَعْـدَكَ أُوقِـدَت ... واسْتَبَّ بَعْدكَ يا كُلَيْبُ المجلسُ

استبَّ المجلس: صار أهلُ المجلس يسبُّ بعضُهم بعضا.

يقول: نبئت أن نيران الضيافة أضرمت بعد غيابك، وأن أهل المجلس تداولوا الأحاديث بعد رحيلك، بل إنهم بالغوا في التخفف من الأعباء وفي اطراحِ الكلفة في أحاديثهم حتىٰ صاروا إلىٰ حالٍ يسبُّ فيها بعضهم بعضًا، وقد كانوا من فرط هيبتك وقوة تأثيرك لا يجرؤون علىٰ فعل شيءٍ من ذلك.

فقد كان كليب في حياته مهيبا لا يجسر أحدهم علىٰ الحديث بين يديه، ولا توقد مع ناره للضيفان نارٌ في حماه، إعظاما لقدره وإجلالا لشأنه، فيقول مُهَلْهِل علىٰ وجه التحسُّر:

وَتَكَلَّمـوا فِـي أَمْـرِ كُلِّ عَظِيمَـةٍ ... لـو كنـتَ شـاهِدَهُم بِها لـم يَنْبِسوا

لم ينبسوا: يُقال كلمتُه فما نَبَس، أي لم يتكلَّم بحرف.

تكلموا وخاضوا في الأمور الكبار، ولم يعد الكلام بينهم منتظما، ولو كنت

(١) عدي بن ربيعة بن مرة بن هبيرة، من بني جشم بن بكر، من أهل نجد، أبو ليلى، المهلهِل، لُقِّب مُهَلهِل لأنه أولَ من هَلْهَل نسج الشعر، أي رَقَّقَه، وهو خالُ الشاعرِ امرئِ القَيس، كان صبيحَ الوجه فصيح اللسان، عكف في صباه على اللهو والتشبيب بالنساء، فسماه أخوه كليب: «زير النساء» أي جليسهُنَّ. لما قتل جساس بن مرة كليبا ثار المهَلْهِل لأخيه، فكانت وقائع بكر وتغلب، التي طالت وامتدت أربعين سنة.

يا كليب شاهدًا وحاضرًا ما جسروا أن يتقدموا بين يديك بشيء من الحديث.

وهذان البيتان من أروع ما قيل في غرض الرّثاء وذلك لكونهما نجحا ببراعة في التقاط مشاعر الفقد المؤلمة، فمن أوجع ما في الفقد استشعار الأحياء قوة حضور الراحلين المعنوية، واستحضارهم لمكانتهم حينما كان يملؤون المجالس، ثم بعد ارتحالهم مضت الحياة بحالتها الرتيبة، لكن مع تبدل قسري في الأدوار، وانقلاب الهامش علىٰ المتن، وتقدّم الساقة علىٰ القافلة.

وليس بالضرورة أن يكون الراحل -كما كان كليب- ملِكًا يقرع الناس بسيفِه، بل فقدان الحضور الوجداني العميق الذي يبسط سلطانه المعنوي في النفوس هو أبلغ وألصق بالمعنىٰ الجميل المضمَر في بيتي المهلهل.

شرح أبيات: (زفرة والد)

قَالَ أُميَّة بن أبي الصَّلْت (٩هـ)[1]:

غَذَوتُـك مَولـودًا، وعُلْتُـك يَافِعًـا ... تَعُـلُّ بِمَـا أُدْنِـي إلَيْـك، وتَنْهَـلُ

غذوتك: قُمْت بمؤنتك. وعُلْتُك: كفلتك وأنفقت عليك.

اليافع: الغلامُ إذا شارَفَ البلوغ.

تَنْهَل: النَّهَل هو الشرب الأول.

والعَلَلُ: الشُّرْبُ الثَّانِي. يُقَالُ: عَلَلٌ بَعْدَ نَهَلٍ.

يقول: قمتُ بمؤنتك وَأَنت مَولُود، وكفيتك حاجاتك وقتَ شبابِك، وأخذتُ أدني إلَيك مَصالحك، فتأخذ مِنْها ما شئتَ مرةً بعد أخرىٰ. يذكِّره بأفضالِه عليه لما رأىٰ من تَنكُّرِه وعُقُوقِه.

إذا لَيْلَـةٌ نَابَتْـكَ بالشَّـكْوِ لـم أَبِـتْ ... لِشَكْـــواكَ إلَّا سَـاهِرًا أَتَمَلْمَـلُ

---

(١) أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي، من أهل الطائف، شاعر جاهلي حكيم، قال أبو عبيدة: اتفقت العربُ على أن أمية أشعر ثقيف. كان أمية في الجاهلية نظر الكتب وقرأها ولبس المسوح، وتعبد أولا بذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفية، وحرم الخمر، وتجنب الأوثان، وطمع في النبوة، لأنه قرأ في الكتب أن نبيا يبعث بالحجاز. قال ابن حجر: والمعروف أنه مات في السنة التاسعة، ولم يختلف أصحاب الأخبار أنه مات كافرا، وقيل: أنه الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ [الأعراف: ١٧٥]. وروى مسلم في صحيحه عن الشَّريد قال: ردفت رسول الله ﷺ يوما، فقال: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟» قلت: نعم، قال: «هيه» فأنشدته بيتا، فقال: «هيه» ثم أنشدته بيتا، فقال: «هيه» حتى أنشدته مائة بيت. وفي البخاري قال رسول الله ﷺ: «وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم».

التَّمَلْمُل: تقلُّب الإِنسان علىٰ الفراش، لا يسكن ولا يستقر.

الشَّكْو: الشكوىٰ.

يقول: كنتُ إِذا أَصَابك مَا يُؤْذِيك في ليلةٍ من الليالي، سَهِرَت عَيني فلا أذوق طعم النوم.

كَأَنِّي أَنـا المطـروقُ دُونَـك بِالَّـذِي　　　طُرِقْــتَ بِــهِ دوني فَعَينــيَ تَهمِــلُ

كَأَني في تململي علىٰ فراشيْ، وسهريْ في تلك الليلة، وفيض عينيَّ بالدمع، أنا المصاب بما أصبتَ به، ولستَ أنت.

تخَـافُ الرَّدىٰ نَفسِـي عَلَيْـكَ، وَإِنَّهَا　　　لَتَعْلَـمَ أَن الْمَـوْتَ حَتْـمٌ مُؤَجَّـلُ

الردىٰ الْهَلَاك. والحتم: الوَاجب الوقوع.

يقول: مع علمي أن الموت واقع حتما لكل أحد في نهاية المطاف، إلا أني كنت أحوطك وأخاف عليكَ منه، فهو يخاف عليه من الواقع حتْما، فكيف بغيره؟!

فَلَمَّــا بَلَغْــتَ السِّــنَّ والغايــةَ الَّتِــي　　　إِلَيْهَــا مَــدَىٰ مَـا كنـتُ فِيـكَ أُؤَمِّـل

لما بلغت المرحلة التي تتعلق بك فيها غاية آمالي ومنتهىٰ رجائي للفرح باكتمالك، والانتفاع بإحسانك:

جَعَلْــتَ جَزَائِــي غِلْظَــةً وَفَظاظــةً　　　كَأَنَّــك أَنْــتَ الــمُنْعِمُ المتَفَضِّــل

هذا البيت هو جواب (لـمَّا) في البيت الذي قبله، أي: لما بلغتَ المرحلةَ التي أؤملها، جعلتَ جزائي غلظةً وفظاظةً، كأنَّ الفضلَ لك والإنعامَ منك!

فَلَيْتَك إِذْ لم تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتي　　فَعَلْتَ كَمَا الجَارُ المجاورُ يَفْعَلُ

ليتني حين فاتني حق الأُبوَّة، ظَفِرْتُ مِنْكَ ولو بحقِّ الِجوار!

شرح أبيات: (فضيلة التغافل)

قال الشريف الرضي (٤٠٦هـ)[1]:

وكَمْ صاحبٍ كالرُّمحِ زَاغَتْ كُعُوبُهُ ... أَبَىٰ بَعدَ طُولِ الغَمزِ أنْ يَتَقَوّما

زاغَتَ: مالَتْ.

كَعْب الرمح: القصبة التي تعقِد الأنبوبين مع بعضهما في الرماح.

الغَمْزُ: تليين الرُّمحِ واستصلاحه. ويتقوم: أي يستقيم.

يقول: وكم صاحب لي حاولت استصلاحه زمنًا طويلا فلم يتمَّ لي ذلك المبتغىٰ.

تَقَبَّلْتُ مِنهُ ظاهرًا مُتَبَلِّجًا ... وَأَدْمَجَ دُوني باطنًا مُتَجَهِّما

المتبلج: المشرق والمضيء.

الإدماج: هو إدخال الشيء في الشيء.

يقول: لـمَّا أيست من استصلاح صاحبي، تقبلت منه وجهًا ظاهرًا مشرقًا بالصِّدق في المودة، رغم علمي أنه أخفىٰ عني وجها مختَلِفا عن هذا الوجه الذي أبداه.

---

(١) محمد بن الحسين بن موسى من ذرية الحسين، وكان شيعيا، وهو نقيب الطالبيين ببغداد. قيل: هو أشعر الطالبيين. قال الذهبي: له كتاب (معاني القرآن) ممتع يدلُّ على سَعَة عِلمه. مات وله سبع وأربعون سنة. ولزكي مبارك كتاب عبقرية الشريف الرضي.

وَلــو أَنَّنــي كَشَّــفته عَــن ضَميــرِهِ أَقَمْــتُ علــىٰ مــا بينَنــا اليــومَ مَأْتَمــا

ولو أنني أبديتُ له علمي بما أخفاه، لأقمت مأتما وعزاءً علىٰ ما بيني وبينه من صداقة وإلفٍ، فإني رأيتُ أن أتغافل وأستبقيه مع وجود شيء من الخلل في مودته، فذلك خيرٌ عندي مِنْ مُكاشفتِه ثم خسارتِه كلِّه، وهذا يشبه قول النابغة:

ولســتَ بمســتبقٍ أخًــا لا تَلُمَّــهُ علىٰ شَعَثٍ.. أَيُّ الرجال المهذبُ؟!

وقولَ بشار:

فعـش واحـدا أو صـل أخـاك فإنـه مقــارف ذنــب مــرة ومجانبــه

إذا العُضْــوُ لَــمْ يُؤلِمْـكَ إلاّ قَطَعتَـهُ علىٰ مَضَـضٍ، لـم تُبْـقِ لَحمـا ولا دَما

إذا كان العضو من أعضائك كلما آلمك قطعتَه، فإنك لن تبقيَ لحمًا ولا دمًا في جسدك، فكذلك أصدقاؤك إذا كنت تبادر بالقطع والبتر لكل من وجدت منه شيئا من التقصير فلن يبقىٰ لك أحد منهم.

شرح أبيات: (عند الشدائد تذهب الأحقاد)

كان عيينةُ بن أسماء متزوجًا أختَ الشاعر الأموي عويف بن معاوية المعروف بـ عويف القوافي[1]، ثم إن عيينةَ طلَّق امرأته، فغضب عويف من عيينةَ غضبا شديدا لطلاقه أختَه، وقال: الحرة لا تطلَّق بغير بأس. ثم دارتِ الأيامُ علىٰ عيينة، وَتسلَّطَ عليه الحجاجُ بن يوسف الثقفي، وجعله مَقَيَّدا في السِّجن. فلما عَلِم عويفُ القوافي بما جرىٰ لصاحبِه، سرت في نفسه الشفَقَة والعطف، وذهبتْ أحقَاده. فأنشد:

ذَهَبَ الرُّقادُ فَما يُحَسُّ رُقادُ   مما شَجَاكَ، وَنَامَتِ العُوَّادُ

العُوَّاد: جمع عَائِد، من العيادة، وهي تَكرار الزيارة، وعَودها مرةً بعد مرة، وتقدَّم.

يقول: طار عن عيني النومُ بسببِ ما أَهَمَّكَ وَأَحزنك، وانفردت أنا بهذه الحال من بين سائر الناس الذين يعودونك، وقاسيت من الألم ما هان عليهم.

لـمَّا أتاني عَنْ عُيَيْنَةَ أَنَّه   أَمْسَتْ عليه تَظاهَرُ الأَقيادُ

تظاهر الأقياد: أي جَعَلوا عليه الأقيادَ بعضَها فَوق بعض.

ومنه ما جاء في الحديث أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم: (ظَاهَرَ بين درعين يوم أحد) أي لبسهما فوق بعض.

---

(١) عوف (ويقال له عويف) بن معاوية ابن عقبة، الفزاري، شاعر من أشراف قومه في الكوفة. اشتهر في الدولة الأموية بالشام، ومدح الوليد وسليمان ابني عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز. وسمي «عويف القوافي» بسبب بيتٍ قالَه. توفي تقريبا سنة (١٠٠هـ)، وقد اشتهرت له هذه القطعة المنتخبة، وهي من أبيات ديوان الحماسة.

نَخَلَتْ لـه نفسـي النصيحـــةَ إنـه   عنــد الشَّــدائدِ تَذْهَــبُ الأَحقــادُ

نَخَلَت لَهُ: أَي أخلصت لَهُ نفسي النصيحة، وَصَفَّتْها من الأكدار، والنصيحة: الصدق في المودة وعدم الغش.

يَقُول: لما أَتَانِي ذَلِك الْخَبَر عن صاحبي أذهب عني الرقاد، وزال مَا كَانَ فِي صَدْرِي من الغلِّ عليه، ومحضتُه النصحَ والوداد، فَإِن نيران المصائبَ تحرق أكوام الضغائن.

وهذا الشطر الأخير: (عند الشدائد تذهب الأحقاد) أرسله مثلا يُسْتَشهد به وحده، وتجده مسطورا في كتب الأمثال وغيرها.

شرح أبيات: (رُقية الحُب)

كانت أمُّ الضحاك المحاربيّة متزوّجةً برجلٍ مِن بني الضّباب، وكانت تحبّه حبّاً شديدا حتىٰ تعلّق قلبها به، ثم إنه طلّقها! فحزنتْ حزنا شديدا، وأنشدَتْ فيه الأشعار، ومما أنشدته هذه القطعة التي تذكر فيها أنها استفتت المحبين قبلها، فَشرحوا لها دواءَ علّتِها:

سـألتُ المحبّيـن الذيـن تحمّلـوا تباريـحَ هـذا الحُـبِّ مـن سـالفِ الدهر

تباريح: التباريح هي الشدائد والمشاقّ، وتباريح الحبّ تكاليفُه ومشاقّه.

سالف الدهر: قديم الزمان.

تقول: سألتُ المحبّين الذين قاسوا شدائد الحبّ، وتحمّلوا تكاليفَه من قديم الزمان.

فقلتُ لهـم: مـا يُذهـب الحبَّ بعدما تبـوّأ مـا بيـن الجوانـحِ والصّـدرِ

تبوّأ: نزل وأقام.

الجوانح: أضلاع الإنسان مما يلي صدرَه.

تقول: سألتُ أولئك المحبّين فقلتُ لهم: ما علاج العشق المستحكم؟ وما الذي يُذهب الحبّ وقد تمكّنَ في قلبي؟

فقالـوا: شـفاءُ الحـبِّ حـبٌّ يزيلـه لآخـرَ، أو نـأيٌ طويـلٌ علـىٰ هَجـرِ

نأي: بُعد.

تقول: فأجابوني بقولهم: شفاء الحبّ أحد ثلاثةُ أمور:

الأول: أن تبدِّلي الحبّ القديم بحبٍّ جديد يعمر قلبك، فالقلب إناءٌ لا يقبل الفراغ بطبعه، وإذا احتل شغافه شيء شغله عن غيره.

والثاني: الهجر والإعراض والبعد مدة طويلة عن المحبوب وبواعث ذكراه، فإن القرب منه يشعل نيران المحبة كلما أوشكت على الانطفاء.

أو اليأسُ حتىٰ تذهلَ النفسُ بعدما رجت طمعًا، واليأسُ عونٌ علىٰ الصّبرِ

تذهل: تنسىٰ وتنشغل.

أما الأمر الثالث: فاليأس من عودة الحبّ إلىٰ سالف عهده، فإن اليأسَ غنىٰ، وهو -كما تقول العرب-: إحدىٰ الراحتَين، وأما الطمع فهو ذلّ، وفي قطعِ رقبةِ الطمع، عون للإنسان علىٰ الصبر والسلوّ.

شرح أبيات: (إن الشجا يبعث الشجا)

قَالَ مُتَمِّمُ بن نُوَيْرَة[1]:

لقد لامني عند القبور على البكا رفيقي لِتَذراف الدموع السوافكِ

تَذراف: صيغة تكثير من الذَّرف، وذرفُ الدموع سيلانُها.

السوافكِ: السفكُ الصَّب، وكثيرًا ما يُستعمَل في الدم والدمع.

يقول: لقد لامني رفيقي لما رآني أبكي على القبور في طريقي، واستنكر مني كثرةَ إراقتي الدموعَ وصبَّها.

فقال: أتبكي كلَّ قبرٍ رأيتَه؟ لقبرٍ ثوى بين اللِّوى فالدكادكِ

ثوى: حلَّ وأقام. اللوى والدكادك: موضعان معروفان.

يقول: فقال لي صاحبي مستنكرًا: أتبكي كلَّ قبرٍ تراه في طريقك لأجل قبر أخيك الذي حلَّ بين اللوى والدكادك؟ فما شأنك وهذه القبور!

فقلتُ له: إن الشجا يبعثُ الشجا! فدعني، فهذا كلُّه قبرُ مالكِ!

---

(١) متمم بن نويرة بن جمرة التميمي، أبو نهشل: شاعر فحل، صحابي، وكان من أشراف قومه، أشهر شعره رثاؤه لأخيه مالك، ومن مشهور رثائه لأخيه، هذه القطعة المنتخبة في البرنامج، ومن مشهوره أيضا قوله:

وكنا كندماني جذيمةَ حِقبةً من الدهر، حتى قيل: لن يتصدعا!

فلما تفرقنا كأني ومالكا لطولِ اجتماع لم نَبِتْ ليلةً معا!

وسكن متمم المدينة، في أيام عمر، وتزوج بها امرأة لم ترضَ أخلاقه لشدة حزنه عل أخيه.

الشجا: الحزن والهم.

يقول: فقلتُ له: إن الحزن يبعث الحزن، والذكرىٰ تجرُّ أختَها، فدعني وأقصِر عن لومي، فإني أرىٰ كلَّ قبرٍ أمامي قبرَ أخي مالك بن نويرة!

شرح أبيات: (فكشفه التمحيص)

قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر[1]:

رأيتُ فضيلاً كان شيئًا ملفَّفًا ... فكشَّفَه التمحيصُ حتىٰ بدا ليا

يقول: كان فضيل هذا شيئًا مستورا، لا يُدرىٰ ما هو ، ولا يُعلم ما الذي انطوىٰ عليه صدرُه، فلما كان وقتُ الجد استبانَت حقيقتُه، وبدا لي أمرُه ظاهرا.

أأنت أخي ما لم تكن لي حاجةٌ؟ ... فإن عرضَت أيقنتُ أن لا أخا ليا!

يقول: أتكونُ أخي في حال الرخاء، وتُظهِر لي الود والصفاء، ثم إن ألَمَّت بي نازلةٌ أو عرضَت لي حاجةٌ فقدتك! وأيقنتُ أن لا أخَ لي علىٰ وجه الحقيقة!

كلانا غنيٌّ عن أخيه حياتَه ... ونحن إذا متنا أشدُّ تغانيا

يقول: اعلم أن كلًّا مِنا في غنًىٰ تامٍّ عن صاحبه حالَ حياته، ثم إذا متنا فإننا أشدُّ استغناءً وأعظم استقلالا، فالتباعد أليق بنا من هذه الأخوة لا تجدي علينا شيئًا.

---

(١) عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، خرج بالكوفة في خلافة مروان بن محمد، فبعث إليه مروان جندا فلحق بأصبهان فغلب عليها وعلى تلك الناحية، واجتمع إليه قوم كثير، وذلك في سنة إحدى وثلاثين ومائة، ثم قتل، ويقال: بل هرب فلحق بخرسان، وأبو مسلم يدعو بها فبلغه مكانه، فأخذه فحبسه في السجن حتى مات، اشتهرت له هذه القطعة المنتخبة، ومنها البيت الشهير:

وعين الرضا عن كل عيب كليلةٌ ... ولكنَّ عينَ السخط تبدي المساويا.

شرح أبيات: (فكأنها أحلام)

قال أبو تمام[1] (٢٣١هـ):

ولقـدْ أراكِ، فَهَـلْ أَراكِ بِغِبْطَـةٍ والعَيشُ غَـضٌّ والزَّمـانُ غُـلَامُ؟!

الغِبْطَة: السرور. الغَضُّ والغَضيضُ: الطريُّ.

يقول: هل سأبتهج برؤيتك ونحن في حياةٍ طريَّة هانئة، والزمان فيها سمح سهل في مقتبل أيامِه، والمقصود بكون الزمان غلاما أن الأحداث التي تقع في ظرف ذلك الزمان تكون مواتيةً لما نحب من دوامِ اللقيا وزوال المكدرات. وفي هذا المعنىٰ يقول المتنبي:

أتـىٰ الزمـان بنـوه في شـبيبته فَسَـرَّهُم، وأتينـاه علـىٰ الهـرمِ

أعـوَامَ وَصْـلٍ كادَ يُنْسِـي طُولَهـا ذكْـرُ النَّـوَىٰ، فكأَنَّهَـا أَيَّـامُ

النوىٰ: البعد.

يقول: هل أراكِ أيتها الدِّيار بغبطةٍ أعوامَ وَصلٍ طويلةٍ، حتىٰ كاد يُنسي طولَها تذكرُنا للفراق الذي سيقع حتمًا بعدَها، فكأن تلك السنوات الطويلة بسبب ذلك التذكر أياما!

---

(١) هو حبيب بن أوس الطائي، أَسلمَ وكان نصرانيا. من فحول الشعراء، كان أسمر، طوالا فصيحا، عذب العبارة مع تمتمة قليلة، وكان يتوقد ذكاء، سمع به المعتصم فطلبه وقدمه على الشعراء، وله فيه قصائد من أشهرها البائية في فتح عمورية. وكان يوصف بطيب الأخلاق والظرف والسماحة، وقد كان الشاعر البحتري يرفع من شأن أبي تمام، ويقدمه على نفسه ويقول: ما أكلتُ الخبز إلا به، وإني تابع له. جمع ديوان «الحماسة» فدل على غزارة معرفته وحسن اختياره. وقيل: كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب.

وقال الآمدي -في تفسير قِصَرها-: (إنا كنا نذكر الفراقَ فَنُبادر السرور واللذات فكان ذلك يقصِّر من طولها، وأيام السرور على كل حال قصار، اعترض فيها خوف الزوال أو لم يعترض، وهذا من مشهور إحسان أبي تمام لفظا ومعنى)[1].

ثُـمَّ انبَـرَتْ أَيَّـامُ هَجْـرٍ أَردَفَـتْ بِجَـوىً أَسـىً، فكأنَّهـا أعْـوَامُ

انبرت: اعترضت وحلَّت. الجوى: الحرقة في القلب. أردف الشَّيءَ بالشَّيءِ: أتبعه به.

يقول: حَلَّتْ بنا أيام هجر بعد أيام الوصل، وبسبب ما انطوت عليه من الجوى والأسى كأنها أعوام.

ثـمَّ انْقَضَـتْ تلـك السِّـنونَ وأهلُهـا فكـأنَّها وكأنَّهُـمْ أحـلامُ

تشبيه الحياة في سرعة انصرامها بالنوم والأحلامِ كثير عند الشعراء. ومنه قول التهامي:

فالعيـش نـوم والمـنية يقظـة والمـرء بينـهما خيـال سـاري

وقول المتنبي:

نصيبـكَ في حياتـك مـن حبيـب نصيبـك في منامـك مـن خيـالِ!

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري (٢/ ١٦٠).

شرح بيتي: (حصاد السنين)

قال أبو نُواس[1](١٩٨هـ):

ولقـد نَهَـزْتُ مَـعَ الغُـواةِ بِدَلْوِهِـم ... وَأَسَمْتُ سَرحَ اللَّحْظِ حَيْثُ أَساموا

نهز الدَّلو في البئر: إذا ضرب بها في الماء لتمتلئ. أسامَ الماشية: أخرجها إلىٰ المرعىٰ. وإضافة سرح إلىٰ اللحظ من إضافة الصفة إلىٰ الموصوف، يعني تركت النظر السارح يرعىٰ حيث رعوا.

والمعنىٰ: شاركتُ الغواة في غيهم، وبلغتُ غاية سعيهم.

وَبَلَغْـتُ مـا بَلَـغَ امـرؤٌ بِشَـبابِهِ ... فـإذا عُصَـارةُ كُلِّ ذاكَ أَثـامُ!

عصارة: خلاصة ونتيجة.

أثام: جزاء وعقوبة.

ما بلغ امرؤ بشبابه: في هذا الإبهام معنىٰ لطيف جدا يستحسنه البلاغيون، والمقصود بلغتُ كل ما يخطر ببالك مما يمكن أن يبلغه الشاب من الغَوايةِ في شَبَابِه.

قال ابن الأثير: (وهذا كقول القائل: «لو رأيت عليا بين الصفين»، فإنه لو وصفه مهما وصف من نجدة وشجاعة وثبات وإقدام وأطال القول في ذلك لم يكن بمثابة

(١) الحسن بن هانئ، لُقِّب بأبي نواس لضفيرتين كانتا تنوسان على عاتقيه -أي: تضطرب-. نشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد، فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، شعره في الذروة، قال شيخه أبو عبيدة: كان أبو نواس للمحدَثين كإمرئ القيس للمتقدمين. ويقال: ما رؤي أحفظ من أبي نواس، مع قلة كتبه. وله تهتُّك في شعر الخمر والغزل، وله أبيات مشهورة في الإنابة والمناجاة، قيل كتبها في آخر عمره.

ما يترامىٰ إليه الوهم مع الإبهام، وهذا للعارف برموز هذه الصناعة وأسرارها، وعلىٰ هذا الأسلوب ورد قوله تعالىٰ: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه:٧٨]. فقوله: «وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه» من هذا النمط المشار إليه، وهو من المليح النادر)[١].

ولكنه لم يحصِّل من ذلك اللهو كله إلا الحسرة والخيبة!

---

(١) المثل السائر (٢/ ١٦٣).

شرح أبيات (أنفة العتاب)

قال معن بن أوس[1]، وكان قد تزوَّج أخت صديقه ثم طلقها، فغضب عليه وهجره، فقال معنٌ هذه الأبيات يعاتبه بها ويستلطفه:

لعمــرك مــا أدري وإني لأوجــل ... علىٰ أيِّنـا تعـدو المنيـة أولُ

لعمرُك: العَمر الحياة، يُقسِم بحياة المخاطب علىٰ عادة العرب في ذلك.

وإني لأوجَلُ: الوجَل الخوف والقلق، أي وإني لخائفٌ قلق، وهذه الجملة اعتراضية.

تعدو المنية: ينقضُّ الموت.

يقول: وحياتك إني لا أدري علىٰ أيِّ واحدٍ منَّا يهجُم الموت أولا، وإني لخائفٌ قلقٌ من ذلك.

وإني أخوك الدائم العهد لم أحل ... إن ابـزاك خصـمٌ أو نبـا بـك منـزل

لم أحُل: لم أتغيَّر.

ابزاك: أثقلك وغلبك.

(١) هو معْن بن أوس المُزَنيّ، شاعرٌ مجيد فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام. له مدائح في بعض الصحابة. وكان معاوية -رضي الله عنه- يفضّله ويقول: (أشعر أهل الجاهلية زهير بن أبي سلمى، وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب ومعن بن أوس). رحلَ إلى الشام والبصرة. وكُفّ بصرُه في أواخر أيامه. مات في المدينة عام ٦٤هـ. وهذه الأبيات من مختار أبي تمام في «ديوان الحماسة» والبصريِّ في «الحماسة البصرية».

نبا بك: ألجأك إلىٰ التحول عنه.

يقول: وإني أنا أخوك الذي لم تنقلب مودته، ولا انتقض عهدُه، أنصرُك إن تكالبت عليك الخصوم، وأوسِعُ لك إن ضاقك المنازل.

أحارب من حاربت من ذي عداوةٍ وأحبس مالي إن غرمتَ فأعقلُ

مالي: إبلي، وإذا أطلقت العربُ (المال) فإنَّها تريد الإبل غالبا.

فأعقلُ: أتكفَّلُ بالدية، والعَقل الدِّية.

يقول: أحارب معك مِن أعدائك مَن تُحارب، وأدافع عنك من النَّاس مَن تُدافع، ولا أُسلِمك إلىٰ ثِقَل الدِّيون، وغرامة الجنايات، بل أجعل مالي كلَّه فداءً لذلك، وأحرص علىٰ تجنيبك من الردىٰ والمهالك.

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتني يمينك، فانظر أي كفٍّ تبدَّلُ

يقول: لئن عزمتَ علىٰ صُرمي وهجري، وأزمعتَ علىٰ قطيعتي ومجافاتي؛ فإنَّك لن تضرَّ إلا نفسَك، وكأنَّما -إذ تقطعني- تُقدِمُ علىٰ قطعِ يمينك! فانظر هل لك عنها مِن عِوَض؟

وفي النَّاس إن رثَّت حبالُك واصلٌ وفي الأرض عن دار القلىٰ متحوَّلُ

رثَّت حبالُك: بليَت وضعُفَت.

القِلىٰ: البُغض.

يقول: وإنك تعلم أنَّ الناس غيرك كثير، فإذا بليَت حبالُ مودَّتِك وكادت تنقطع فما زال لي في وصال النَّاس حبالٌ وثيقة، وإذا ضاقت بي دارُك ففي الأرضِ متَّسعٌ لي عن دار أكون فيها مبغوضا ممقوتا.

إذا أنت لم تنصِف أخاك وجدته		علىٰ طرف الهِجران إن كان يعقلُ
ويركب حدَّ السيف من أن تضيمه		إذا لم يكن عن شفرة السيفِ مزحلُ

الهِجران: المجافاة والهجر، وهو بكسر الهاء لا غير.

يركب حدَّ السيف: هذه كناية يُراد بها الوقوف علىٰ مشارف الهلاك وموارد الخطر.

تضيمه: تظلمه وتذله.

مزحل: منتقَل ومتحوَّل.

يقول: إذا أنتَ لم تعرف لأخيك قدرَه، ولم تُعط صاحبَك حقَّه؛ وجدتَه عنك متجافيا، وألفيته منك متباعدا، هذا إن كان له عقلٌ يحكمُه، ومروءةٌ تمنعُه، وتراه يرد موارد الخطر، ويُشرف علىٰ مواطن الهلاك، كلُّ ذلك أنفةً من أن يُظلَم، وامتعاضًا من أن يُهان، فإنَّ الكريم يأنف المقام بمنزل الذلة والضَّيم.

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد		إليه بوجهٍ آخر الدهر تُقبِلُ

يقول: إذا أشحتُ بوجهي عن شيءٍ وصرفتُ قلبي عنه، فلا تكاد تراني راجعًا إليه، ولا تُبصرني عابئًا به، بل تجدني معرضًا عنه، زاهدًا فيه، فإنَّ لي نفسًا كريمةً عزيزةً إذا عافت الأمر فارقته فراق غيرِ وامق.

شرح بيتي: (المناظر المتعبة)

قال أحدهم[1]:

وكنتَ متىٰ أَرسلتَ طرفَكَ رائدًا ... لِقَلْبِكَ يومًا أَتْعَبَتْكَ المناظِرُ

الرائد: الذي يتقدم القافلة ليتأمل حال الماء والكلأ. وجعل العين رائدا للقلب لأن القلب يتبع ما تراه العين فيستحسن ما تستحسن ويكره ما تكره.

والمعنىٰ أنك إذا أرسلت العين وأطلقت جماحها وجعلتها كالرائدِ المستطلع للقلب، فإن المناظر سترهقك لأن القلب تابع، والبصر قائد.

قال ابن القيم: (العين رائد القلب، فيبعث رائده لنظر ما هناك فإذا أخبره بحسن المنظور إليه وجماله تحرك اشتياقا إليه، وكثيرا ما يتعب ويتعب رسوله ورائده)[2].

رأيتَ الذي لا كُلُّه أنتَ قادرٌ ... عليه، ولا عن بَعْضِه أنت صابرُ

وهذا البيت تفسير للتعب المذكور في البيت السابق، والمعنىٰ: إذا أطلقت طرفك رائدا لقلبك أتعبتك المناظر لكونك سترىٰ ما لا تقدر علىٰ الوصول إليه، وما لا تقدر علىٰ الصبر عنه، وإنما غاية ما تحصِّل من ذلك الإطلاق أنك ستوقع نفسك في رَهَقٍ وحسرة.

وقال بعضهم:

ألا إنما العينان للقلب رائد ... فما تألف العينانِ فالقلب يألفُ

---

(١) من أشعار ديوان الحماسة دون نسبة.

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٧٥).

وقال المتنبي مصوّرًا أن من يطلق بَصَره فهو قتيلٌ قاتلٌ في آن:

وأنـا الـذي جَلَـبَ المنيـة طرفُـه فَمَـنِ المطالـبُ والقتيـل القاتـل؟

شرح أبيات: (فليتق الله سائله)

قال أبو تمام الطائي[1]:

هـوَ اليَـمُّ مِـنْ أَيِّ النواحـي أَتَيتَـه ... فَلُجَّتُـه المعـروفُ والجـودُ سـاحِلُهْ

اليَمُّ: البَحْر لا يُدرَكُ قَعْرُهُ.

يقول عن ممدوحِه بأنه كاليمِّ من أي النواحي أتيتَه، وأعماقُ هذا البحر المعروفُ، وسواحلُ هذا البحرِ الجودُ.

تعـوَّدَ بَسْـطَ الكَـفِّ حتـىٰ لـوَ انَّـهُ ... ثَناها لِقَـــبْضٍ لـمْ تُجبهُ أنامِلُهْ

اعتاد مدَّ الكف بالعطاء طيلَةَ دَهْره، وبلغ به الحال لطول الإلف والاعتياد أنه لو حاول ثني أنامله وأراد أن يقبضها لاستعصت عليه ولم تطاوِعْه، لأنها تعودت المدَّ والبسط والعطاء.

ولـو لـم يَكـنْ في كَفِّـهِ غَيـرُ رُوحِـهِ ... لجـادَ بهـا، فَلْيـــتَقِ اللهَ سـائلُهْ

ليتق اللهَ سائلُ هذا الرجل الكريم! فإنه سيعطيه ما كان في يَدِهِ وإن غَلا ثمنه، ولو لم يكن في يده غيرُ روحه التي بين جنبيه لجاد بها.

---

(١) تقدمت ترجمته قريبا.

شرح أبيات: (والمنايا رَصَدٌ)

كان السُّلَيكُ بن عمير التميمي أحدَ صعاليك العرب العدائين، وكان شاعرا فاتكا، يلقب بالرئبال، فخرج ذاتَ يومٍ فَقَتَله رجلٌ من خَثْعَم. فقالت أمه السلكة ترثيه:

طــافَ يَبْغِــي نَجْــوَةً مِــنْ هَــلاكٍ فَهَلَــكْ

يبغي: يريد ويطلب. النجوة: النجَاة.

تقول: خرج يبغي النجاة من كل هلاكٍ، فكان هلاكه في خروجه.

ليــــتَ شِـعْري ضَلَّــةً أَيُّ شـــــيءٍ قَتَلَــكْ؟

ليت شِعري: ليت علمي، أو ليتني أعلم.

ضلة: ضلالة.

تقول: ليتني أعلم، فأنا ضللت ضلالة عن العلم بسبب موتك، فيا ترىٰ أي سبب كان وراء قتلك؟!

أَمَريــضٌ لــــم تُعَــدْ؟ أَمْ عَـــــدُوٌّ خَتَلَــكْ؟

ختلك: خدعك، وقتلك غيلة.

ودخَلت الأم المسكينة بهذا البيت في بيان قولها: أي شيء قتلك؟ وذكرت بعض الاحتمالات التي ربما كانت وراء قتله. فتقول:

هل كنت مريضًا لم يعدْك ولم يتفقدْك أحد؟ أم اغتالك عدوٌّ غدرًا وخديعةً؟

كــــلُّ شَــــيءٍ قاتــلٌ حيــنَ تَلْقــىٰ أَجَلَــــكْ

أرادت بهذا البيت الإعراض عن الاسترسال بذكر الأسباب، فانتقلت إلىٰ بيان أن أسباب الموت واحدةٌ إذا انقضىٰ العمر المقدَّر، وأن كل سبب قاتل إذا حان الأجل المحتوم.

والمنايـــــا رَصَــــــدٌ للفتـــىٰ حيـــثُ سَــلَكْ

المنايا جمع منية وَهِي الْمَوت.

تقول بأن المنايا للفتىٰ بالمرصاد أَينَمَا ذهب، فالطواف في فضاء الله والتحول في البلدان وابتغاء النجاة لا يدفع الموت قِيدَ أنملة إذا حان الأجل.

لَيتَ قَلـــبي ساعـــــــةً صبــرَه عنــكَ مَلَــكْ
لَيــت نَفســي قُدِّمــتْ للمَنـــــايا بَدَلَــكْ

ليت قلبي يملك الصبر عنك ولو ساعةً من الزمان، أو ليتني كنتُ افتديتُك فقُدِّمت للموت بدلَ نفسك.

شرح أبيات: (حنكته التجارب)

قال عبد العزيز بن زرارة الكلابي (٥٠ هـ)[١]:

قَدْ عِشْتُ في الدَّهْرِ أَطوارًا علىٰ طُرُقٍ ... شَتَّىٰ، فَصادَفْتُ مِنهُ الليـنَ والفَظَعا

الفظع: الشدّة.

والمعنىٰ عِشْتُ في دهري أطوارا علىٰ طرق مختلفة، فصادفت أياما رغيدة لينة، كما عشتُ أيامًا شديدة قاسية.

كُلًّا بَلَـوتُ فَـلا النَّعْمـاءُ تُبْطِـرُني ... وَلا تَخَشَّـعْتُ مِـنْ لأْوائِـه جَزَعـا

بلوت: جَرَّبت وخَبَرت. البَطَر: الطغيان بالنعمة. اللأواء: الشدة والبؤس.

والمعنىٰ عرفتُ كلا الحالينِ من لين وشدة، فلم تُبطرني النعماء سَفَهًا، ولا كسرتني اللأواءُ جزَعًا.

لا يملأُ الهولُ صَدْري قَبلَ مَوْقِعِه ... وَلا أضيـقُ بـهِ ذَرْعًـا إِذا وَقَعـا

يصف شجاعته ورزانته وصبرَه، فيقول: بلغ من ثبات قلبي أني أعلم أن الهول سيقع، ومع ذلك لا يملأ قلبي الخوفُ والقلق قبل نزوله، ثم بلغ من صبري عليه أني لا أضيق به ذرعًا بعد حلولِه، فأنا في الحالَين معتصم بالصبر والثبات والرضا، وأكثر الناس يخافون من الهول قبل وقوعه، ويضيقون به ذرعًا بعد حلوله.

(١) هو عبد العزيز بن زرارة الكلابي قائد شجاع في زمن معاوية ﷺ كان فيمن غزا القسطنطينية، وأبلى في قتال الروم البلاء العجيب، ولم يزل يتعرض للشهادة فلم يقتل، فأنشأ ينشد هذه الأبيات المنتخبة: (قد عشت في الدهر..)، ثم حمل على من يليه فَقَتَلَ فيهم، وانغمس بينهم، فَشَجَرَه الروم برماحهم حتى قتلوه، فبلغ خبر قتله معاوية فقال لأبيه: هلك والله فتى العرب!

شرح أبيات: (وتقتلنا المنونُ بلا قتالِ)

قال أبو الطيِّب المتنبِّي (٣٥٤ هـ)[١] قصيدةً في رثاءِ والدةِ سَيفِ الدولة، ومنها:

نُعِـدّ الـمَشْرَفيَّةَ والعَوالـي وتَقْتُلُنـا الـمَنونُ بِـلا قِتـالِ

المشرفية: السيوف. العوالي: الرماح. المنون: المنية.

يقول: نعد السيوف والرماح للنِّزال والقِتال، ولكنَّ المنية تخترق الأسوار وتتجاوز هذا التحصين والاستعداد مِنَّا فتقتلنا علىٰ حين غفلةٍ، وذلك من غير قتالٍ ولا مدافعة.

نَصيبُـكَ في حَياتِـكَ مِـن حَبيـبِ نَصيبُـكَ في مَنامِـكَ مِـن خَيـالِ

نصيب الإنسان من وصال حبيبه في حياته كنصيبه من وصال خَياله وأحلامه في منامه، فكما ينقطع الخيال والحلم باليقظة، ويذهب كأن لم يكن، فوصال الحبيب ينقطع أيضًا بالموت ويذهب كأن لم يكن.

وهذا البيت يذكر العامَّة معناه كثيرا في عصرنا، فتجدهم يقولون عن لحظاتهم الجميلة الفائتة: مرت كأنها حلم. وهو يشبه بيت أبي تمام -وهو من مختارات القلادة-:

ثـم انقضـت تلـك السـنون وأهلهـا فكأنـــها وكأنهـم أحـــلام

رَمـاني الدّهـرُ بـالأرزاءِ حتّـىٰ فُـؤادي في غِشـاءٍ مِـن نِّبـالِ

الأرزاء: جمع رزء وهو المصيبة. الغِشاء: ما يغطي الشيء ويستوعبه. والنبال:

---

(١) تقدمت ترجمته.

السهام.

يقول: كأن قلبي من توارد المصائب عليه صار مُحاطا بغشاء من سِهام.

فَصِـرْتُ إذا أصابَتْنـي سِـهامٌ تكَسّـرَتِ النِّصـالُ علـىٰ النِّصـالِ

النصال: جمع نصل، وهو الحديدة التي في السهم.

يقول: فصرتُ الآن إذا أصابتني مصائب جديدة لم تجد موضعًا تنفذ منه إلىٰ فؤادي، وإنما أمست النصال اللاحقة تتكسر علىٰ النصال السابقة.

وأشار الواحديُّ إلىٰ معنىٰ لطيف وهو معنىٰ أن المصائب لما كثرت عليه تساقطت. فقال -في شرح البيت-: (هذا تمثيل معناه أن الأرزاء توالت علي حتىٰ هانت عندي، والشيء إذا كَثُرَ اعتادَه الإنسانُ كما صرح بذلك المتنبي في البيت التالي)[1].

وهـانَ فَمـا أُبالـي بالرّزايـا لأنّـي مـا انْتَفَعـتُ بـأنْ أُبالـي

هان: خفَّ.

قيل معناه: هان عليّ الدهر وما يقع فيه. وقيل: هان عليّ ما ألقاه، فأضمر الفاعل.

يقول: خف علي الأمر وصبرت وسلوت، فلا أبالي وأقلق من المصائب قبل وقوعها، ولا أجزع عند نزولها، لأني ما انتفعت بما بَاليتُ به قبلَ ذلك، فلم تدفع المبالاة والاهتمام عني شيئا من المقدور، ومنه قول بعضهم:

صبـرت فـكان الصبـر خيـر مغبـة وهـل جـزع أجـدىٰ علـيَّ فأجـزع

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي (١/ ١٩٦).

وقد ذكر المتنبي هذا المعنىٰ في قصيدة أخرىٰ، فقال:

لا تلق دهرك إلاّ غير مكترثٍ ما دام يصحب فيه روحك البدن
فما يديم سرورٌ ما سررت به ولا يردّ عليك الفائت الحزَنُ

شرح بيتي: (لَسْتَ الملومَ)

وقال المتنبي أيضا:

أبعيـن مفتقـر إليـك نَظَرتنـي ... فأهنتنـي، وقذفتنـي مِـن حالِـقِ
لســتَ الملـومَ، أَنـا الملـومُ لأَنَّني ... أنزلـتُ آمـــالي بِغَيرِ الخالِق

الحالق: المكان المشرف المرتفع.

يقول: هل هان عليك شأني حين نظرتني مفتقرا إليك؟ فأهنتني وخذلتني ولم تقضِ حاجتي، وقذفتني من مكان مرتفع حتىٰ تحطمت آمالي علىٰ صخرة الخذلان؟! كلا! ليستِ الملامةُ عليك في شيء من ذلك، وإنما أنا الملومُ لأنني عَلَّقْتُ حِبالَ آمالي بغير خالقي سبحانه وتعالىٰ.

وهكذا لا يركن العبد إلىٰ المخلوق ويعتمد عليه إلا ويُخذَلُ من جِهَتِه، وسائلُ الله تعالىٰ لا يُخذل ولا يخيب!

ذكر محمد بن عمر الرازي في تفسيره مفاتح الغيب تجربته في هذا الشأن فقال: **(الذي جربته من أول عمري إلىٰ آخره أن الإنسان كلما عول في أمر من الأمور علىٰ غير الله صار ذلك سببا إلىٰ البلاء والمحنة والشدة والرزية، وإذا عول العبد علىٰ الله ولم يرجع إلىٰ أحدٍ من الخلق حصل ذلك المطلوب علىٰ أحسن الوجوه، فهذه التجربة قد استمرت لي من أول عمري إلىٰ هذا الوقت الذي بلغت فيه إلىٰ السابع والخمسين، فعند هذا استقر قلبي علىٰ أنه لا مصلحة للإنسان في التعويل علىٰ شيء سوىٰ فضل الله تعالىٰ وإحسانه)**[1].

---

(١) مفاتح الغيب (١٨/ ١٤٥).

وقال الصرصري:

إذا انقطعت أطماع عبد عن الورىٰ تعلَّـــق بالـرب الكــــريم رجـاؤه

فأصبــح حُـــــرًّا عِـزَّةً وَقَناعـــــةً علـىٰ وجـــهه أنـواره وضـــياؤه

وإن عَلِقَـت بالخلـق أطمـاع نفـــه تباعــد ما يرجـــو وطال عنـــاؤه

فـلا تـرجُ إلا الله للخطـب وحـــده ولـو صـحَّ في خِـلِّ الصَّفـاء صفـاؤه

شرح أبيات: (تزاحم الأضداد)

قال أبو العلاء المعرِّي[1] (٤٤٩هـ) في رثاء أحد الفقهاء الأحناف: (بحر الخفيف)

صاحِ هَـذي قُبورُنـا تمـلأ الرُّحْـ ... ـبَ فَأَيـنَ القُبـورُ مِـنْ عَهْـدِ عـادِ

صاحِ: يا صاحبي. يَدعو صاحبه، وحذف حرف النداء، ورخّم الصاحب.

الرُّحْب: بضم الراء. المكان المتَّسع.

والمعنىٰ: يا صاحبي إذا كانت قبورُنا تملأ المكان المتَّسِعَ، فأين قبور السابقين قبلنا؟ فلا بد أنها اندرست واختلطت ببعضها.

خَفِّـفِ الـوَطْءَ مـا أَظُـنّ أَدِيْـمَ الـ ... ـأَرْضِ إلا مِـنْ هَـذِهِ الأَجسـادِ

الوطء: مشيك علىٰ الأرض. أديم الأرض: الأديمُ الجِلْد. والمقصود ظاهر الأرض.

يقول: خَفِّف مشيك وسعيك علىٰ الأرض فما أظنك تمشي إلا علىٰ أجسادٍ

(١) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري، الأعمى، أَضَرَّ بالجدري وله أربع سنين وشهر. صاحب التصانيف المشهورة في اللغة والأدب، كان ذكيا تام القريحة. قيل: يَحفظ كل ما مَرَّ بسمعه. لازم بيته، وسمى نفسه: رهين المحبسين للزومه منزله، وللعمى. وكان نباتِيًّا لم يأكل اللحم خمسًا وأربعين سنة. قال الذهبي: كان قنوعا متعففا له وقف يقوم بأمره، ولا يقبل من أحد شيئا، ولو تكسب بالمديح، لحصل مالا ودنيا، فإن نظمه في الذروة، يعدُّ مع المتنبي والبحتري. اتُّهِم في إيمانه ومعتقدِه، وفي شعره وترجمته ما يعضد ذلك، فلعله مَرَّ بمرحلة تردد وشك ثم رَجَع. ذبّ عنه بعض المعاصرين. انظر: «أباطيل وأسمار» لمحمود شاكر، و«أبو العلاء وما إليه» لعبد العزيز الميمني.

سالفةٍ دارِسَة.

رُب لحـدٍ قَـدْ صـارَ لحـدًا مِـرارًا ضاحـكٍ مِـن تَزَاحُـمِ الأَضـدادِ

اللحد: الشَّق في جانب القبر.

يقول: رُبَّ لحدٍ يضحك ويتعجب من اجتماع الأضداد كالأبرار والفجار فيه علىٰ مَرّ الزمن.

تعـبٌ كُلُّهـا الحيـاةُ فَمـا أَعْـ ـجَبُ إِلَّا مِـنْ رَّاغـبٍ في ازْدِيـادِ

تَعَبٌ كُلُّها الحياة: تقديره: الحياةُ كلُّها تَعَبٌ.

وليس الوزنُ الشعري وحده هو الذي جعل المعرِّي يقدِّمُ التَّعَبَ في صدر بيته، ويؤخر المبتدأ، فَفِي هذا التقديم اللطيف معنىٰ مراد يستشعره السامع في توكيد معنىٰ التعب والكَبَد في هذه الحياة. وتأمل الفرق بين قولِك: الحياة كلُّها تعب. وقولك: تَعَبٌ كلها الحياة!

ومعنىٰ البيت: الحياة كلها تعب، فما أشد تعجبي من أحوال الراغبين في الزيادة منها المتعلقين بها، فهم في حقيقة سعيهم لا يستزيدون إلا من التعب.

إنَّ حُزْنًـا في سـاعَةِ المـوتِ أَضْعـا فُ سُـرورٍ في سـاعَةِ الميـلادِ

مقدار الحزن علىٰ الإنسان في ساعة موته لا يعدل ولا يساوي مقدارَ السرور به في ساعة ميلاده.

ضَجعـة المـوتِ رَقْـدَةٌ يَسْـتَريحُ الـ ـجِسْمُ فِيهـا والعَيـشُ مِثْـلُ السُّـهادِ

الضَّجْعة: المرة الواحدة من الاضطجاع، والضِّجعة: هيئة الاضطجاع. السُّهاد: الأرق.

شبه الموت بحال النوم. وشبه العيش باليقظة. وفي تشبيهه هذا مخالفةٌ لما يذكره بعض الشعراء من تشبيههم العيش بالنوم، والموت باليقظة. وذلك نحو قول التهامي: (**فالعيش نوم والمنية يقظة**)، وما يُنسب لسهل التستري ولغيره: (**الناس نيامٌ، فإذا ماتوا انتبهوا**)، وقد مرَّ بنا في هذه المختارات نظائر لهذا.

وليس في هذا التشبيه من أبي العلاء إنكارٌ لعذاب القبر كما قد يُتَوَهَّم أو يسبق إلىٰ الذهن، فقد قال تعالىٰ عن الكفار: ﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ﴾ [يس:٥٢] قال ابن كثير: وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم؛ لأنه بالنسبة إلىٰ ما بعدَه في الشدَّة كالرُّقاد.

وقد قال أبو العلاء قبل هذا البيت:

خُلِقَ النّاسُ للبَقَاءِ فضَلّتْ ... أُمّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ للنّفادِ

إنّما يُنْقَلُونَ مِنْ دارِ أعْمالٍ إلىٰ دارِ شِقْوَةٍ أو رَشَادِ

شرح بيتي: (فيا حجر الشحذ)

قال ابن تومرت[1] (٥٢٤هـ):

أَخَـذْتَ بِأَعْضَادِهِـمْ إِذْ وَنَـوا　　وَخَلَّفَـكَ القـوم إِذْ أَسْـرَعُوا

حين شَعَر الناس بالونىٰ والتعب في طريق السير إلىٰ الله أخذتَ بأعضادهم، وأحييتَ همتَهم، وأعنتَهم علىٰ استئناف المسير، ووصفتَ لهم الطريق، وحين سَلَكوا دربَ الهداية الذي وصفتَه لهم، وَجَدُّوا في السير فيه سبقوكَ وتركوكَ خَلفهم.

وَأَصْبَحْـتَ تَهْـدِي وَلاَ تَهْتَـدِي　　وتُسْـمِعُ وَعْظًـا وَلاَ تَسْـمَعُ

فَيَـا حَجَـرَ الشَّـحْذِ حَتَّـىٰ مَتَـىٰ　　تَسُـنُّ الْحَدِيـدَ وَلاَ تَقْطَـعُ

حَجَر الشَّحْذ أو المِسَنّ: يُسَنُّ به الحديدُ من السِّكِّين وغيرها.

يقول: أَشْبَهتَ حَجَرَ الشَّحذ حين أصبحتَ تهدي الآخرين وتصفَ لهم طريق الفلاح دون أن تسلكَه. ووجه الشبه أن حجر الشحذ يَسُنُّ القواطع من الحديد دون أن يَقطع، وأنت تهدي الآخرين دون أن تهدي نفسَك.

---

(١) محمد بن عبد الله بن تومرت البربري المصمودي خرج بالمغرب، ادعى أنه علوي حسني، وأنه الامام المعصوم المهدي، وسفك الدماء، أخذ عن أبي حامد الغزالي، وأبي بكر الطرطوشي، قال الذهبي: كان أمارا بالمعروف، نهاء عن المنكر، قوي النفس، زعرا شجاعا، مهيبا قوالا بالحق.. وبكل حال، فالرجلُ من فحول العالم، رام أمرا، فتم له، وربط البربر بادعاء العصمة، وأقدم على الدماء إقدام الخوارج، ووجد ما قَدَّم.

شرح أبيات: (زُخْرُفُ القَول)

قال ابن الرومي[1]:

فِـي زُخْـرُفِ الْقَـوْلِ تَزْيِيـنٌ لِبَاطِلِـهِ   وَالْحَـقُّ قَـدْ يَعْتَرِيـهِ سُـوءُ تَعْبِيـرِ

زخرف القول: القول الـمُزيَّن الـمُمَوَّه المحسَّن.

والمعنىٰ: في تزيين القول وزخرفته تزيينٌ للمعاني الباطلة المتضمنة فيه، والحق قد يعتري أصحابه سوء تعبير عنه.

وأراد ضرب مثال لزخرف القول، فقال:

تَقُـولُ: هَـذَا مُجَـاجُ النَّحْـلِ تَمْدَحُـهُ   وَإِنْ ذَمَمْـتَ تَقُـلْ: قَـيْءُ الزَّنَابِيـرِ

الـمُجاج بضم الميم الرِّيق الذي يمجه الإنسان من فِيه. يقال: المطر مُجاج المزن، والعسل مُجاج النحل.

الزنابير هي الدبابير وواحد الزنابير: زنبور، وهو حشرة معروفة تشبه النحلة.

قال الدُّمَيري في حياة الحيوان: (ربما سميت النحلة زنبورا)[2]. فعلىٰ هذا يحمل معنىٰ البيت، وهو أنه حين أراد مدح العسل وتزيينه في النفوس شبهه بـمُجاج النحل، وحين أراد ذمه وتقبيحه شبهه بقيء الزنبور، وحقيقة العسل واحدة لم تتغير إلا في هذا الزخرف من القول.

مَدْحًـا وَذَمًّـا وَمَـا جَـاوَزْتَ وَصْفَهُمَـا   حُسْـنُ الْبَيَـانِ يُـرِي الظَّلْمَـاءَ كَالنُّـورِ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) حياة الحيوان الكبرى (٢/ ١٣).

مدحا في العبارة الأولىٰ حين قال: مجاج النحل. وذمّا في الثانية حين قال: قيء الزنابير. ولم يتجاوز في العبارتين هذين الوصفين، والحقيقة واحدة.

وعلىٰ العاقل أن ينتبه لهذا الجانب حين يحكم علىٰ الأقوال المنقولة، فكم من قول بَاطلٍ قبلتْه النفوسُ لعرضه بقالب جميل وصورة مقبولة، وكم صواب مجَّته النفوس لعرضه بقالب قبيح وصورة ممجوجة، ولذلك يقول ابن القيم -رحمه الله-: (إذا أردت الاطِّلاع علىٰ كُنْهِ المَعنىٰ هل هو حقٌّ أو بَاطِلٌ فَجرِّدْه من لِبَاس العبارَة)[1]، وذكر أبو حامد الغزالي -رحمه الله- أن أقلَّ درجات العالم مما يتميز به العامي أن العالم (لا يعاف العَسَل، وإن وجده في محجمة الحجَّام)[2]، والمقصود العناية بتمييز الحقائق وتوخي العدل في الحكم عليها، وعدم التأثر بالقوالب الخارجية.

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٩٧).

(٢) المنقذ من الضلال (١٥٥).

شرح بيتي: (فضل التأني)

وقال ابن الرومي كذلك:

نـارُ الرَّويَّـة نـارٌ جِـدُّ مُنْضِجَـةٍ ... ولِلبَدِيهَـةِ نـارٌ ذَاتُ تَلْويـحِ

الروية: إشباع الرأي والقول وطول النظر فيه. وبديهة القول: ما كان من غير طول تأمل. ويقال للرجل إذ وُصِفَ بسرعة الإصابة في الرأي: بديهتُهُ كَرَوِيَّة غَيره.

وَقَـدْ يَفضِّلُهَـا قَـوْمٌ لِعَاجِلِهـا ... لكنَّـهُ عاجِـلٌ يَمْضـي مَـعَ الريـحِ

يقول: يفضل أقوام نِتاجَ البديهة لعاجِلها وقربِ ثمرتِها، لكن بسبب العجلة لا يكون لما يقولونه أو ينتجونه أثرا باقيا، وإنما هو يمضي وينطفئ مع هبوب الريح بخلاف نار الرويّة فإنها تدومُ، وتترك أثرا باقيا.

وقد كثرت مقارنات الشعراء وغيرهم بين الروية والبديهة، فقال الحطيئة:

فهـذا بديـه لا كتحبيـر قائـل ... إذا مـا أراد القـول زوّره شـهرا!

واجتمع مرةً ابنُ مناذر وأبو العتاهية، فقال أبو العتاهية: كم بيتا تقول في اليوم؟ قال: مقدار عشرة أبيات. فقال أبو العتاهية: فأنا أقول مائتين. فقال ابن مناذر: فإنك تقبل من شيطانك نحو:

ألا يـا عتبـة السـاعة ... أمـوت السـاعة السـاعة

ولو أني أقولُ مثلَ ذلك لقلتُ ألوفًا من الأبيات![1]

---

(١) محاضرات الأدباء للأصفهاني (١/ ١١٢).

شرح بيتي: (عِرْضٌ مَصون)

نال أحد الشعراء من الشاعر عليّ بن الجهم بحضرة الخليفة المتوكّل وهجاه بأشعار باردة فلم يجبه، ثم قال علي بن الجهم[1] فيما بعد (٢٤٩هـ):

بَـــــــــلاءٌ لَيسَ يُشبِهُهُ بَلاءٌ عَـداوَةُ غَيـرِ ذي حَسَـبٍ وَديـنِ

الحسَبُ: الفِعالُ الجمِيلة للرجل وآبائه. وقال ابن السِّكِّيت: الحسب والكرم يكونان في الإنسان وإن لم يكن لآبائه شرف، ورجل حسيب كريم بنفسه. فَقَصَرها علىٰ شرف أفعال المرء وإن لم يكن لآبائه شرف.

يقول: من أعظم البلاء أن تعادي رجلا لا دين له ولا حسب، وكونه أعظم البلاء لأن هذا الرجلَ:

يُبيحُـكَ مِنـهُ عِرضًـا لَـم يَصُنـهُ وَيَرتَـعُ مِنـكَ في عِـرضٍ مَصـونِ

أصل الرتع: الرعي في المرعىٰ الخِصْب.

والمعنىٰ أنه بالعداوة أباحك وأحلَّ لك عِرْضَه غيرَ المصون بالدِّين والحسب،

---

(١) علي بن الجهم بن بدر، أبو الحسن، رقيق الشعر، من أهل بغداد، كان قريبا من المتوكل العباسي، ثم غضب عليه المتوكل، فنفاه إلى خراسان، وكتب إلى طاهر بن عبد الله أنه إذا ورد عليه صَلَبه يوما، فوصل إلى شاذياخ نيسابور، فحبسه طاهر، ثم أخرجه فصلبه مجرداً نهاراً كاملاً، فقال في ذلك قصيدة مطلعها:

لم ينصبوا بالشاذياخ صبيحة الـ ـإثنين مغمورا ولا مجـــهولا

نصبوا بحمد الله ملء قلـــوبهم شرفا وملء صدورهم تبجـيلا

وله القصيدة الدالية المشهورة في الحبس. خرج مرة يريد الغزو، فاعترضه فرسان من بني كلب، فقاتلهم، وجرح ومات من جراحه.

وأنت حين عاديتَه وقاولتَه فتحت علىٰ نفسك الطريق ليأكل من لحمك، ويرتع في عرضك المصون بالدين والحسب، فأنتَ الخاسر في مخاصمته.

وهذا ما يجنبه الإنسان الفاضل من مجادلة الجهال ومقاوَلتهم ومشاتمتهم، والعاقل يختار أعداءه الذين يردُّ عليهم كما يختار أصدقاءه.

شرح أبيات (عفو المقتدِر)

قال عبدالله بن الربيع الحارثي[1]:

لن يبلغ المجد أقوامٌ -وإن شرُفوا- حتىٰ يذلّوا -وإن عزّوا- لأقوامِ

يقول: لن يستطيع أحدٌ أن يرتقيَ في درجاتِ المجد -ولو كان شريفا جليلَ القدر- إلا إذا أصابه بعضُ الذلّ في طريقِه، وذلك من جهة السفهاء أو الحمقىٰ أو الحسّاد، والمقصود صورة الذُّلِّ لا حقيقة الذلّ، فيصيبه شيء من ذلك في الظاهر وهو عزيزٌ مكرَّمٌ في نفسِه!

ويُشتَموا فترىٰ الألوانَ مسفرةً لا صفحَ ذلٍّ ولكن صفحَ أحلامِ

مُسفِرة: مُشرِقة.

صَفح: الصفحُ ترك اللوم والمؤاخذة.

يقول: ولن يبلغوا المجدَ كذلك حتىٰ يتسلط عليهم السفهاء بالشتم والإهانة، فترىٰ وجوهَهم مشرقةً ضاحكة كأنَّ شيئًا لم يكن! ثم لا يكون امتناعُهم عن رد السَّفَه والشتم لضعفِهم أو لخوفِهم، بل هم مقتدرون يصفحون عن حِلم، ويعفون عن مقدرة، (ولن يستوجبَ أحدٌ الحِلمَ إلا مع القدرة) كما قالت العرب[2].

---

(١) هو عبدالله بن زياد بن الربيع بن زياد الحارثي، شاعر عباسي، وجدُّه الربيع من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقطعة في غالب المصادر المتقدمة ليست منسوبةً لشخص بعينه، وذكر الثعالبي في اللطائف والظرائف أن هذه القطعة: (أحسن ما قيل في الحِلم)!

(٢) العقد الفريد (٢/ ١٩).

شرح أبيات (الشرُّ يبدؤه صغارُه)

قال شبيب بن البرصاء[1]:

وإني لتــرَّاكُ الضغينــةِ قــد بــدا ثراهـا مـن المولـىٰ، فمـا أسـتثيرُها

ترَّاك: كثيرُ الترك والاجتناب.

بدا ثراها: ظهر أثرُها، وبدَت علاماتُها.

المولىٰ: في اللغة له معان، وهو هنا بمعنىٰ القريب.

أستثيرُها: أنقِّب عنها وأنبش.

يقول: وإني كثيرا ما أجتنبُ الأحقاد وأحتملُ الأذىٰ، وأُحجِمُ عن الشرِّ من قريبي، وأتغافل عنه حتىٰ وإن بدَت آثارُه منه، وظهرت علاماتُه عليه! فلا أنقّب عن الشر ولا أَتتَبَّعه.

مخافــةَ أن تجنــي علــيّ، وإنمــا يَهيــجُ كبيــراتِ الأمــور صغيرُهــا

تجني عليّ: تجرّ عليّ سوءًا.

يَهيج: يُثير ويُشعل.

يقول: وإنما أفعل ذلك الاجتناب للأحقاد، والاحتمال للأذىٰ لئلا يستفحلَ الشرّ، ويحصل لي ما لا يُحمَد عقباه، فإن الشرَّ يبدأ صغيرًا ثم يتعاظم، ومعظم النار

(١) هو شبيب بن يزيد بن جمرة الذبياني، و(البرصاء) أمُّه، سُمِّيت بذلك لبياضها، وهو شاعر بدوي أموي فحل، وكان من أشراف قومه وساداتهم، ونُسِبت بعض أبيات هذه القطعة لعوف بن الأحوص كما في المفضليات.

من مُسْتَصغر الشرر، وقد قالت العرب: (الشرُّ يبدؤه صغارُه)، وقال طرفة (قد يبعثُ الأمرَ العظيمَ صغيرُه)[1].

تبيَّـنُ أعقـابُ الأمـورِ إذا مضَـت ... وتُقبِـل أشـباهًا عليـكَ صدورُهـا

أعقاب الأمور: أواخرها ونهايتها.

صدورُها: أوائل الأمور وبدايتها.

يقول: إن الأمور لا تستبين إلا في خواتيمها ونهاياتها، فإذا انقضت وولَّتْ اتضحتْ معالم الصورة كاملة، أما أوائل الأمور وبداياتها فتكون دائمًا مشتبهةً ملتبسة تغرّ الناظرين.

---

(١) انظر: مجمع الأمثال للميداني (١٩٥٣)، وديوان طرفة بن العبد (١٢).

شرح أبيات (إقدامٌ على بصيرة)

قال مضرِّسُ بن ربعيّ الأسدي[1]:

إيّـاك والأمـرَ الـذي إن توسَّـعت مـواردُه ضاقَـت عليـك المصـادرُ

إياك والأمرَ: أسلوب تحذير، أي احذر من الأمر.

موارده: الموارد جمعُ مَورِد، وهو موضع الماء الذي يأتيه الناس ويرِدُونه، ثم استُعير لكل ما يُقبِل عليه الإنسان من أمر.

المصادر: جمعُ مَصدَر، وهو الموضع الذي يرجع منه الناس بعد سقيهم ويصدرون عنه، ثم استُعير لكل ما يخرج منه الإنسان من أمر.

يقول: احذر أن تأتي أمرًا وأنت ترىٰ مدخله سهلًا واسعا، لكنّ مخرجَه وعرٌ ضيق، فإن من الحزم أن لا تُقبل علىٰ أمر إلا وقد خبِرتَه وعلمتَه، لا أن تتقحّم الأمور علىٰ عمىٰ.

وأحـزمُ النـاسِ مـن لـو مـات مـن ظمـأٍ لـم يقـربِ الـورِدَ حتىٰ يعرف الصّـدَرَا

فمـا حسَـنٌ أن يعـذِر المـرءُ نفسَـه وليـس لـه مـن سـائرِ النّـاسِ عـاذرُ

يقول: فإنه يقبح بالمرء أن يكون فيما يقتحمه من الأمور عند نفسه معذورًا، وعند الناس ملومًا، وما جدوىٰ إعذار المرءِ نفسَه!

---

(١) هو مضرِّس بن ربعي بن لقيط الأسدي، شاعر إسلامي، وكان حسَن التشبيه، حاضرَ البديهة، وإليه تُنسَب القصة المشهورة مع الفرزدق، وذلك أنه بلغ مضرسًا أن الفرزدق هجا بني أسد، فقدم البصرة وأخذ يهجو الفرزدق، فجاء الفرزدق حتى قام عليه فقال: من أنت؟ فقال مضرس: أسديٌّ أنا، فقال الفرزدق: لعلك ضريس، قال: أنا مضرِّس، فقال الفرزدق: إن شعرَك بي لشبيه، فهل وردَت أمُّك البصرة؟ فقال: لا، ولكن وردها أبي! فسكت الفرزدق.

شرح أبيات (إحدى النوائب)

وقال ابن الرومي[1]:

وزهَّـدَني في النـاسِ معرفتـي بهـم ... وطولُ اختباري صاحبًا بعد صاحبِ

يقول: لقد زهدتُ من الناس، ولم يكن زهدي هذا إلا عن معرفةٍ عميقة بأحوالهم، وامتحان دقيق لطباعِهم، فكم اختبرتُ من صاحب تلو صاحب! ومع ذلك لا تزيدني الأيام والتجارب إلا زهدًا بالناس.

فلـم تـرني الأيـامُ خِـلًّا تسـرُّني ... بواديـهِ إلا سـاءني في العواقـبِ

يقول: فما أرتني الأيامُ صديقًا يسرُّني ظاهرُه، وتغرُّني أوائلُه، إلا انكشفَ بعد ذلك علىٰ حقيقتِه، وكشَّر لي عن أنيابِه.

ولا قلـتُ أرجـوهُ لدفـعِ مُلمـةٍ ... مـن الدَّهـرِ إلا كان إحدىٰ النوائب

المُلِمّة والنائبة مترادفتان، ومعناهما حوادث الدهر ومصائبه ونوازله.

يقول: ولا قلتُ سأستعين به في نازلة من نوازل الدهر وأدفع به عني مصيبةً من مصائب الزمان، إلا كان هو مصيبةً عليّ من حيثُ لم أحتسب!

وهذه الأبيات تشبه قطعة ابن الرومي نفسه:

تخذتكـمُ درعًـا وترسًـا لتدفعـوا ... نبـالَ العِـدا عنّـي، فكنتُـم نصالَهـا

---

(١) تقدمت ترجمته.

وتشبه كذلك قول الشاعر:

وإخــوانٍ حســبتهمُ دروعًــا فكانوهــا ولكــن للأعــادي!
وخِلتُهــمُ ســهامًا صائبــاتٍ فكانوهــا ولكــن في فــؤادي!

وهذه الحال السوداوية المتشائمة غلبت علىٰ مزاج كثير من الشعراء والأدباء، فكثرت هذه المعاني في أشعارهم إلىٰ الغاية.

شرح بيتي (حظوظ)

قال المُعلوَط القُرَيعيّ[1]:

وليس الغِنىٰ والفقرُ من شيمة الفتىٰ ... ولكن أحاظٍ قُسِّمَت وجدودُ

شيمة الفتىٰ: يعني اكتسابه وجهده.

أحاظ: جمعُ حظّ، يُقال حظوظ وأحاظ.

جدود: جمعُ جدٍّ وهو الحظّ كذلك.

يقول: ليس الغنىٰ والفقر مما يستطيعه الإنسان بكسبه وجهده وسعيه فقط، ولكنها مواهب وأرزاق يقسمُها الله علىٰ من يشاء من عباده.

وعطَفَ (أحاظ) علىٰ (جدود) مع اتفاقهما في المعنىٰ تنويعًا في الكلام وزيادةً في البيان، وهو أسلوب عربي فصيح، ومنه﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ﴾ [المؤمنون:٦٨]، والمجيء والإتيان واحد.

إذا المرءُ أعيَتْه المروءة ناشئًا ... فمطلبُها كهلًا عليه شديدُ

أعيته: أتعبَته واستصعبَت عليه.

المروءة: إتيان ما يزين من المحاسن، وترك ما يشين من المساوئ.

ناشئًا: فتىً صغيرا.

---

(١) هو المُعلوَط بن بدَل القُريعي، من بني قُريع بن عوف من تميم، شاعر إسلامي مطبوع، وله في الحِكمة ومكارم الأخلاق شعرٌ حسَن، وتُنسَب الأبيات للمخبَّل السعدي، وكلاهما قريعي من بني سعد بن زيد مناة بن تميم.

كهلًا: رجلًا كبيرا.

يقول: ينبغي للمرء أن يعوِّد نفسَه الاجتهادَ من صغرِه، ويربيها علىٰ مكارم الأخلاق من نشأته، فإنه إذا لم يحصِّلها صغيرًا عسُر عليه طلبها كبيرا، وإن حصّلها في صغره كانت له شيمةً وسجية، كما قال المتنبي:

أَلِـفَ المـروءةَ مـذ نشـا فكأنَّـه سُـقيَ اللّبـانَ بهـا صبيًّـا مُرضَعـا!

شرح أبيات (كنز الصبر)

وقال أبو الحسن الجرجاني[1]:

إذا شئتَ أن تستقـرض المال مُنفِقًا … علىٰ شهَواتِ النفسِ في زمن العُسـرِ

فسل نفسَك الإنفاقَ من كنز صبرها … عليـكَ، وإنظـارًا إلـىٰ زمـن اليُسـرِ

تستقرض: تستدين وتتسلّف.

يقول: إذا كنتَ في عسرةٍ من أمرك ثم أردتَ أن تستدين المال لتُنفِق به علىٰ أمور رفاهيتك ومطالب راحتك؛ فلا تسترسل في شهوات نفسك، واسألها أن تُنفِق عليك من الصَّبر والتحمّل ما تنتظر به إلىٰ زمن اليسار والغِنىٰ.

فـإن سـمحَت كنـتَ الغنيَّ، وإن أبَت … فـكلُّ مَنـوعٍ بعدهـا واسـعُ العُـذرِ

أبَت: امتنعَت.

مَنوع: شديد المنع والحرمان.

يقول: فإن سمحَت لك نفسُك بالصَّبر والتحمّل فزتَ بغنىٰ النفس والامتناعِ من السؤال، وإن امتنعَت نفسُك عن الإنفاق عليك من كنوز الصَّبر فامتناعُ غيرها عن

---

(١) هو القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، كان من ألباء العلماء وحذاقهم، وقال عنه الثعالبي: (هو فَردُ الزمان، ونادرةُ الفلك، وإنسانُ حدقةِ العلم)، ولاه الصاحبُ بن عباد قضاءَ جرجان، وذكره في رسائله بسعة الأدب وجودة الرأي وحُسن التدبير، وهو صاحب الأبيات المشهورة:

يقولون لي فيك انقباضٌ وإنما … رأوا رجلًا عن موقف الذل أحجما

إقراضك أولىٰ، وكما وجدتَ لنفسِك العُذرَ في الامتناع من الصبر، فجِد للناس العذرَ في الامتناع من إقراضك.

قال الشاعر:

غِنىٰ النفسِ يُغني النفسَ حتىٰ يكفُّها ... وإن أعسَــرت حتىٰ يُضِرَّ بهـا الفقرُ

فمـا عسـرةٌ -فاصبِر لهـا إن لقيتَــها ... بـدائـــمةٍ حتىٰ يكون لها يُســرُ

وقال الآخر:

غنــيُّ النفــسِ مــا اســتغنَت غنــيٌّ ... وفقــرُ النفــس مــا عمِــرَت شــقاءُ

شرح بيتي (مقالة السوء)

قال محمد بن حازم الباهلي[1]:

ومــن دعــا النــاسَ إلــىٰ ذمِّــه   ذمُّــوهُ بالحــقِّ وبالباطــلِ

يقول: ومن عرَّض نفسَه لذمِّ الناس -بأن طلب منهم كشفَ معايبه، أو فعَل فعلًا يستوجب الذم- فإنهم سيَلِغُون في عرضه، وينهشون لحمه، ويرمونه بأقبح التهم وأبشع المعايب، حقًّا كانت أو باطلا.

مقالــةُ السُّــوء إلــىٰ أهلهــا   أســرعُ مــن منحــدرٍ ســائلِ

يقول: مقالة السوء كالسباب والشتائم تعود علىٰ أهلها أسرع من السائل المنحدر، والمراد بأهلها قائلوها والناطقون بها، فأراد أن الوقيعة والطعن علىٰ الناس بالباطل يعود علىٰ قائله، ولا يضرُّ مَن قيل فيه.

---

(١) هو محمد بن حازم بن عمرو الباهلي ولاءً، شاعر عباسي مطبوع، كثيرُ الهجاء، ولم يمدح من الخلفاء غير المأمون العباسي، وكان دقيقَ المعاني، سلسَ الشِّعر، قال الشابشتي: (كان يأتي بالمعاني التي تستغلق على غيره)! توفي عام ١٩٥هـ.

شرح أبيات (أقسِّمُ جِسمي)

وقال عروة بن الوَرد[1]:

إني امـرؤٌ عـافي إنائـيَ شِـركةٌ ... وأنـتَ امـرؤٌ عـافي إنائـكَ واحـدُ

عافي إنائي: العافي هو الطالب والملتمِس، يعني من أتاني يسأل طعامي ويطلب كرمي.

شِركة: عدةٌ من الناس لا واحد، أي يشاركني طعامي كثيرون.

يقول: إني رجلٌ جواد لا يخلو بيتي من ضيف، ولا أنفرد برزقٍ قطّ، بل طعامي بيني وبين الناس بالشركة، أدعوهم إليه ولا أحجب عنه أحدًا، أما أنتَ فرجلٌ شحيحٌ ممسِك، لا تأكل إلا وحدك!

أتهـزأُ منـي أن سـمِنتَ؟ وأن تـرىٰ ... بجِسمي شحوبَ الحقِّ؟ والحقُّ جاهدُ

الشحوب: الضعف والهزال.

جاهد: مُتعِب.

يقول: أتهزأُ مني لكونك سمنتَ وكثُر لحمُك وطغىٰ شحمُك أما أنا فتراني هزيلًا نحيلًا! وليس هذا النحولُ بي إلا من إكرام الضيفان والقيامِ عليهم ومقاسمتهم

---

(١) هو عروة بن الورد بن زيد العبسي، المشهور بـ(عروة الصعاليك) و(أمير الصعاليك) لأنه كان يجمعهم ويقوم بأمرهم ويقضي حوائجهم، وكان عروة سيدا جاهليا مطاعا، وفارسا شهما شجاعا، وهو مِن أشعر قومِه، وكان له مِن الجود والكرم ما جعل عبد الملك بن مروان يقول: (من قال إن حاتمًا أسمحُ الناس فقد ظلم عروة بن الوَرد)! توفي ١٥ ق.هـ.

زادي وطعامي، وكذلك الحقُّ والمكارمُ، لا يؤتىٰ أسبابها إلا بمشقّة الأنفسِ وتعب الأبدان، فـ(الجودُ يُفقِرُ والإقدامُ قتّالُ)!

أقسِّـمُ جِسـمي في جسـومٍ كثيـرةٍ وأحسـو قَـراحَ المـاءِ والمـاءُ بـاردُ

قَراح الماء: الماء الصافي الذي لا يشوبُه شيء.

يقول: أؤثر غيري بطعامي وزادي ونفقتي فكأنّما أوزعُ جسمي ولحمي في أجسامهم ولحمهم، لأني بإعطائهم من قوتي أمنعُ عن نفسي كفايتَها وحقَّها، وأظلُّ أحسو الماءَ وهو بارد في الشتاء، والماءُ الباردُ أكثر إضعافًا وتأثيرًا في الجسمِ الهزيل النحيل.

قال أبو فراس الحمداني:

وكيـف يُنـالُ المجـدُ والجِسـم وادعٌ وكيـف يُحـازُ الحَمـدُ والوَفـرُ وافـرُ

شرح أبيات (فصيّرَ آخره أوَّلا)

قال محمودُ الورّاق[1]:

يمثِّـل ذو العقـلِ في نفسـهِ مصائبَـهُ قَبْـل أن تَنْـزِلا
فـإن نزلـتْ بَغْتـةً لـم تَرعْـهُ لِمـا كان في نفسـه مَثَّـلا

لم ترعه: لم تفزعه.

يقول بأن صاحب العقل يوطِّن نفسه علىٰ المصيبة قبل نزولها، فهو متصوِّر لعواقبِ ما يقدِمُ عليه وما يمكن أن يعرِض له في العادة، وهو يدرك النتائج بمعرفة المقدّمات، وثمرة ذلك التوطين أن المصائب إذا حلَّت بدارِه لم تفزعْه.

رأىٰ الأمـرَ يُفْضـيْ إلـىٰ آخِـرٍ فَصيَّـــــرَ آخـــــرَه أوَّلا

يقول بأن صاحبَ العقل حين أيقن بأن الأمور ستؤول إلىٰ أمر معين حتمًا، فإنه اعتبر ذلك الأمرَ الحتمي واقعًا، ووطّن نفسه كأنه قد قام وحصل.

---

(١) محمود بن الحسن الوراق بغدادي، شاعر مجود، أكثر في شعره من المواعظ والحكم. روى عنه: ابن أبي الدنيا.

شرح بيتي (عِلم الأباعِر)

قال مروان بن أبي حفصة[1]:

زَوامـلُ للأشـعار لا عِلْـم عندهـم   بجيِّدهـا إلاَّ كعِلْـمِ الأباعِـرِ

زوامل: جمع زاملة، وهو البعير الذي يُحمَل عليه المتاع، فشبّه حفَظة الأشعار دون فهمٍ لها وتمييز جيّدها من سقيمها بالأباعر التي تحمل المتاع.

لَعَمْـركَ مـا يَـدري البَعيـر إذا غَـدا   بأوسـاقِهِ أو راحَ مـا في الغرائِـرِ

الأوساق: جمع وَسَق، وهو حِمْلُ البعير.

الغرائر: جمع غِرارة، وهي وعاء يوضع علىٰ ظهر البعير.

الأصل في الغدوّ الذهاب أول النهار، والأصل في الرواح الذهاب بعد الزوال، ثم صارا يستعملان في كل ذهاب ورجوع توسعًا.

يقول بأن هؤلاء يحفظون الأشعار وليس لهم علمٌ بجيّدها، إلا كعلم البعير بما غرائره التي يحملها علىٰ ظهره. ويروىٰ البيتان: زوامل للأسفار، والأسفار جمع سِفر، والسِّفرُ الكتاب.

---

(١) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة، شعره عالي الطبقة، قال فيه الكسائي: (إنما الشعر سِقاء تمخَّض، فَدُفِعت الزبدةُ إلى مروان بن أبي حفصة)، كان جدُّه أبو حفصة مولى لمروان بن الحكم ثم أعتقه، أدرك مروان الخلافة العباسية، ومدح المهدي والرشيد فأجزلوا له العطاء، حتى قيل أنهم كانوا يعطونه على كل بيت مديحٍ ألفَ درهم، توفي ببغداد سنة ١٨٢هـ.

شرح بيتي (الحمق الجميل)

قال لقيط بن زرارة[1]:

أغركـمُ أني بأحسـن شـيمةٍ بصيـرٌ وأني بالفواحـش أخـرَقُ

الشيمة: الخلق والطبيعة.

أخرق: أحمق، والخرَق الحُمق.

يقول: أغركّم بي معرفتي بأحسن الأخلاق والشِّيَم، وجهلي بأضدادها من الفحش والسب واللؤم؟ وهل أطمَعَكم فيَّ ما رأيتم من سموّ أخلاقي وسموقها وعدولي عن مجازاتكم بالمثل؟!

وإني تـكُ قـد سـابتني فَقَهرتَنـي هنيئًـا مريئًـا أنـت بالفُحش أحـذقُ

إن كان وقع بيننا مسابَّة ومشاتمة فغلبتني وقهرتني، فهنيًّا مريئًا لك هذا السبق والانتصار، فأنت أبصر وأجدر به مني، فأنا في هذا البابِ أخرق أحمق قليل الخبرة، وإنما أنا بصير بمحاسن الأخلاق ومكارم الشيم.

(١) هو لقيط بن زرارة بن عدس الدارمي التميمي، شاعر جاهلي، كان شريفًا في قومه، كنيته أبو دخنتوس، وهي بنته، ويقال له: أبو نهشل، كان دينه المجوسية.

شرح بيتي (المنزلِ الخشن)

قال دِعبل الخزاعي[1]:

وإن أولىٰ البرايا أن تواسيَه عند السرور لمن واساكَ في الحزَنِ

البرايا: جمع برية، وتجمع برية علىٰ بريَّات. والبرية: الخلق.

الحزَن: الحزَن والحُزن خلاف السرور.

يقول: إن أولىٰ الناس بمواساتك وإحسانك ذلك الذي وقف معك وسانَدَك في أيام شدّتك وافتقارك.

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألَفُهُم في المنزلِ الخشِنِ

يقول بأن الكرام إذا انقلبت أحوالهم من الفقر إلىٰ الغنىٰ، ومن الحاجة إلىٰ الكفاية، تذكروا من كان يألفهم ويرعاهم في أيام حاجتهم وزمن افتقارهم حينما كان مركبهم خشنا، فإنه لمن اللؤم أن ينقلب الإنسان علىٰ رفاق دربه ويتنكّر علىٰ الذين ألِفوه وأحسنوا له لمجرَّد أنه حصَّل مالًا أو مرتبةً من مراتب الدنيا.

---

(١) هو دعبل بن علي الخزاعي، شاعر زمانه، له ديوان مشهور، وكان من غلاة الشيعة، وكان بذيئًا مقذع الهجاء، حتى قيل بأنه هجا قبيلته خزاعة، وهجا خلفاء وقته. قيل بأن صاحبًا له لامه في هجاء الخلفاء، فقال: دعني من فضولك، أنا لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك! يقال: هجا مالك بن طوق، فدس عليه من طعنه في قدمه بحربة مسمومة، فمات من الغد، سنة ٢٤٦هـ.

شرح أبيات (أحلام الكرى)

قال عمران بن حطان السدوسي[1]:

يأسفُ المرءُ علىٰ ما فاتَه	**مِن لُباناتٍ إذا لم يقضِها**
وتراه فرحًا مستبشرًا	**بالتي أمضىٰ كأن لم يُمضِها**
إنها عندي كأحلامِ الكرىٰ	**لقريبٌ بعضُها من بعضِها**

لُبانات: جمع لُبانة، واللُّبانة هي الحاجة.

الكرىٰ: النوم.

يقول بأنَّ المرء يأسف ويحزن علىٰ الحاجات الدنيوية التي فاتَه تحصيلُها، بينما تراه فَرِحًا بالأماني التي حصَّلها، مستبشرًا بالرغبات التي حققها، وحقيقة الحال أن ما حصَّله المرء من حاجات دنيوية يشبِه ما فاتَه من بعض الوجوه، فليس للإنسان إلا ما في يده الآن في هذه اللحظة، وكل الشهوات والرغبات تحصل ثم تذهب وتضمحلّ وتصبح من ذكرياتِ الماضي، فما حصَل وما فاتَ يشبِه بعضُها بَعْضًا، وكلُّه إذا تخيلَه المرءُ كأنه أحلام النوم.

---

(١) هو عمران بن حطان السدوسي الخارجي، قال عنه الذهبي: من أعيان العلماء، لكنه من رؤوس الخوارج. حدث عن بعض الصحابة، وروى عنه: ابن سيرين، وقتادة، ويحيى بن أبي كثير. قال أبو داود: ليس في أهل الأهواء أصح حديثًا من الخوارج، ثم ذكر عمران بن حطان، وأبا حسان الأعرج. وهذا يصدق على الخوارج الأوائل. قال ابن سيرين: تزوج عمران امرأةً خارجيَّة، وقال: سأردّها عن مذهب الخوارج، قال: فصرفته هيَ إلى مذهبها! وروي أنها كانت ذات جمال، وكان عمران دميمًا، فأعجبته يوما فقالت له: أنا وأنت في الجنة، لأنك أُعطيتَ فشكرت، وابتليتُ فصبرت. وفيما يتعلق بموهبة عمران بن حطان في الشعر قال الفرزدق: عمران بن حطان من أشعر الناس. توفي سنة (٨٤هـ).

شرح بيتي (الحب والأذى)

قال أسماء بن خارجة الفزاري[1] مخاطبًا زوجتَه:

خُذِي العَفْوَ منّي تستديمي مودّتي ... ولا تنطِقي في سوْرَتِي حينَ أغضبُ

السَّورة: شدة الغضب.

يقول: خذي المتيسِّر القريب من طيبِ أخلاقي وطِباعي، ولا تحمليني على لأواء التكلفِ وعناءِ التصنّع، فإنّ في اطّراح التكلّف استدامةً للمودّة بين الأحباب، سواء كان المخاطَب بهذا زوجًا أو زوجةً أو صديقًا أو غيره، فالكُلفة تمحق الأُلفة.

وفي التنزيل قال تعالىٰ لنبيه: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] أي خذ الفاضل المتيسر من أخلاق الناس وأعمالهم.

وإذا تملّكَتني سلطة الغضب فدعيني حتىٰ أسكن، فإنَّ الإنسان في حال غضبه ربما أساء سمعًا وفَهما، ثم أساءَ إجابةً وردًّا، والغضب شُعبة من الجنون.

فإنّي رأيتُ الحبَّ في القلبِ والأذىٰ ... إذا اجتمعا لم يَلْبثِ الحبُّ يذهبُ!

إذا اجتمع الحب مع الأذىٰ في قلب إنسان، فإن الحب يوشك أن يأخذ متاعه ويعزم علىٰ الرّحيل ثم ينصرف، فالحب والأذىٰ ضدَّان لا يجتمعان!

---

(١) هو أسماء بن خارجة الفزاري، وهو ابن أخي عيينة بن حصن أحد المؤلفة قلوبهم، كان أسماء تابعيا سيد قومه، جوادا مقدَّما عند الخلفاء. زوَّجَ أسماءُ ابنةً له فقال يوصيها: يا بنية كوني لزوجِكِ أمةً يكن لك عبدًا، ولا تَدني منه فيملَّكِ، ولا تتباعدي عنه فيتغير عليك. توفي سنة (٦٦هـ).

شرح بيتي (نعمة الأذى)

قال أبو الطيب المتنبي[1]:

فارقتكـــمْ فــإذا مــا كان عندكــمُ قبـلَ الفـراقِ أذىً، بعـد الفـراق يـدُ

يقول: فارقتكم فإذا الذي كنت أعتبره أذًى قبل فراقكم، أصبحت أعدُّه الآن نعمةً، وقد زاد الشاعر هذا المعنىٰ بيانا في البيت الثاني:

إذا تذكـرت مــا بينــي وبينــــكمُ أعـانَ قلبي علىٰ الشوقِ الـذي أجدُ

إذا تذكرت حالي وأنا بينكم، وطاف بخاطري ما كنت ألقاه منكم من الجفاء، أعانتني تلك الذكرىٰ علىٰ مغالبة الشوق وسهلت علي السلوّ والنسيان، فكلُّ ما كان مُؤْذِيًا أيام الوِصال أصبح نعمةً في أيام الفراق.

(١) تقدمت ترجمته.

شرح أبيات (تَلَفُّتُ القلب)

قال الشريف الرَّضي[1]:

ولقـد مـررتُ علـىٰ ديارِهِـمُ　　وطُلُولُهـا بِيـدِ البِلـىٰ نَهْـبُ

الطلول: جمع طلل، والطلل هو ما بقي من آثار الديار.

البِلىٰ: الفناء.

يقول: مررت علىٰ ديار الأحبة، فما وجدت فيها إلا شيئا من آثار الديار، ويد الفناء تنهب طلولَها نهبا.

فوقفـتُ حتـىٰ ضـجَّ مـن لغَـبِ　　نِضْـوِيْ، ولـجَّ بعذْلـيَ الرَّكْـبُ

اللغب: التعب.

والنّضو: البعير المهزول.

والعذل: اللوم.

الرَّكب: أصحابُ الإبل في السفَر، وهم العَشَرَةُ فما فوقها.

يقول بأنه أطال الوقوف حتىٰ ضجّ بعيره من التعب، وحتىٰ لجّ رفاقه في عتابه ولومِه.

وتَلَفَّتَـتْ عينـيْ، فَمُـذْ خَفِيَـتْ　　عنِّـي الطُّلـولُ تَلَفَّـتَ القلـبُ

---

(١) تقدمت ترجمته.

يقول: تلفتت عيني في نواحي الديار، حتىٰ إذا جاوزتها في مسيري، وخفيت معالمها عن ناظري، انتقل التلفُّت من العين إلىٰ القلب، فالديار وإن زالت رسومها عن العين إلا أنها ما زالت ماثلةً في القلب، فهو يتجول في أرجائها ونواحيها، وقد أكثر الشعراء من ذكر التلفت في أشعارهم، ومنه قول الشاعر:

ولما رأيت البشر قد حال بيننا وجالت بنات الشوق في الصدر نزَّعا

تلفَّت نحوَ الحيِّ حتىٰ وجدتُّني وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا

وإنما أرادوا به شرح مشاعرهم وبيان أشواقهم والاستعاضة عما فات من الإقامة في الديار بطول النظر فيها.

شرح أبيات (من الحِمام إلى الجِمام)

قال أبو الطيب المتنبي[1]:

يقـول لـي الطبيـبُ: أكلـتَ شـيئًا ... وداؤكَ في شـرابِكَ والطَّعـامِ

ومـا في طِبِّـهِ أني جوادٌ ... أضـرَّ بجسـمِهِ طـولُ الجِمـامِ

الجِمام: الراحة.

يقول بأن طبيبي يتوهّم أن سببَ مرضِي دخل عليّ من جِهة طعامي وشرابي، وليس في علم الطبيب أن الذي أضرَّ بي هو طولُ مكثي وإطالتي الجلوس وترك الأسفار، كالفرس الجواد يضرّ بنشاطه طولُ حبسه.

تعـوَّدَ أن يُغَبِّـرَ في السـرايا ... ويدخـلَ مِـن قتـامٍ في قتـامِ

السرايا: جمع سرية، وهي جزء من الجيش يسري إلىٰ العدو. والقتام: الغبار.

يقول تعوّد هذا الجواد -ويعني نفسه- أن يثير الغبار في المعارك، ويخرج من حرب إلىٰ حرب. فهو يصف نفسه بالشجاعة وترك الدعة ومجانبة أسباب الراحة ومجافاة السكون.

فإن أمرضْ فما مَرِضَ اصطباري ... وإن أُحْمَـمْ فمـا حُـمَّ اعتزامـي

أحمم: من الحمىٰ. يقول: إن كان جسمي مَرِضَ وسكنتْه الحمىٰ، فإن اصطباري واعتزامي باقيان علىٰ نشاطِهِما، ولم يتأثرا بعوارض الجسد.

---

(١) تقدمت ترجمته.

وإن أسـلم فمـا أبقـىٰ ولكـن سَـلِمْتُ مـن الحِمـامِ إلىٰ الحِمـامِ

الحِمام: الموت.

يقول: إن سلمت من هذه الحمىٰ، فلن أبقىٰ حيًّا إلىٰ آخر الدهر، وإنما غاية ما يكون أن أسلمَ من الموت بهذا العارض إلىٰ الموت بعارِضٍ آخر، وكما يقول طرفة:

لعمركَ إن المـوت مـا أخطـأ الفتـىٰ لكالطِّـوَلِ المُرخـىٰ وثنيـاه باليـدِ

شرح بيتي (إعراض كريم)

قال زُهير بن أبي سُلمىٰ[1]:

وذي خطَلٍ في القول يحسَبُ أنَّه مصيبٌ فما يُلمِمْ به فهو قائلُهْ
عبَأتُ له حِلمًا، وأكرمتُ غيرَه وأعرضتُ عنه وهو بادٍ مقاتلُهْ

الخطَل: المنطق الفاسد الكثير المغلوط.

يُلمم به: يحضرُه.

عبأتُ: جهّزتُ وادّخرتُ.

بادٍ مقاتله: ظاهرةٌ عيوبُه، ومكشوفةٌ مساوئُه.

يقول: ورُبَّ رجلٍ كثيرِ الغلط في الكلام سليطِ اللسان وهو يظنُّ أنَّهُ مصيب في كلامه جهلًا منه، فإذا ما حضرَه شيءٌ تكلّمَ به من فَوره دون أن يُقلِّبَ نظرَه في عواقبِ ذلك، كافأته بحِلمي ودفعتُه بعفوي، وأكرمتُ نفسي عن الخوض في سفهِه، ولو شئتُ لأبصرَ منّي ما يكره، فعيوبُه كثيرة منشورة، ومساوئُه ظاهرةٌ مشهورة.

قال الحماسي:

وكم من لئيم ودَّ أني شتمتُه وإن كان شتمي فيه صابٌ وعلقمُ
ولَلكفُّ عن شتم اللئيمِ تكرّمًا أضرُّ لهُ من شتمهِ حين يُشتَمُ

---

(١) هو زهير بن أبي سُلمى المزني، أحد أشهر شعراء الجاهلية، وصاحبُ المعلقة الميمية المشهورة، وشِعرهُ في الحكمةِ والمدح بديع سيّار، وذكره أبو عبيدة في الشعراء الثلاثة المقدمين في الجاهلية.

شرح أبيات (همٌّ منتشر)

وقال كعبُ بن زهير[1]:

لو كنتُ أعجَبُ من شيءٍ لأعجبَني	**سعيُ الفتىٰ وهْوَ مخبوءٌ له القدَرُ**
يسعىٰ الفتىٰ لأمورٍ ليس مُدرِكَها	**فالنفسُ واحدةٌ والهمُّ منتشرُ**

يقول: لو كنتُ أعجبُ في هذه الحياة من شيءٍ لعجبتُ مما أرىٰ الفتىٰ يسعىٰ ويجتهد في تحصيل مبتغاه إلا أن القدرَ محجوبٌ عنه، فهو لا يعلمُ أيُحصّل ما يسعىٰ إليه أم تمتنع مطالبُه دون ذلك! فيا عجبا من سعي الفتىٰ لأمورٍ لا يجدها، ومطالبَ لا يُدركها، وتراهُ وإن كانت نفسُه واحدةً إلا أن همَّه واسعٌ منتشِر!

والمرءُ ما عاشَ ممدودٌ له أمَلٌ	**لا تنتهي العينُ حتىٰ ينتهي الأثَرُ**

يقول: والإنسانُ طويلُ الأمل في حياته لا يقنع باليسير، واسعُ الأماني في عيشِه لا يرضىٰ بالقليل، فهو في حياته وتَطلاب عيشِه كالعينِ التي لا تكفُّ عن النظر ما دامت الآثارُ باقية والمعالمُ قائمة، فإذا ما انمحَت الآثارُ انصرفَت العين، وكذلك نفسُ الإنسان لا تنصرفُ حتىٰ ينقضي عُمرها.

---

(١) هو كعب بن زُهير بن أبي سُلمى المزني، شاعر فحل مخضرم، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم، وهو صاحب البُردة الاعتذارية المشهورة التي قيل إنه أنشدها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم.

شرح بيتي (لينُ العزّة)

قال أبو الشيص[1]:

كريـمٌ يغـضُّ الطـرفَ فضـلُ حيائـهِ ويدنـو وأطـرافُ الرِّمـاحِ دوانِ

فضلُ حيائه: حياؤه الزائدُ.

يقول: إن هذ الرجل كريمُ الخلائق، عفيفُ النفس، جمُّ الحياء، حتىٰ إنك لتراه من شدة حيائهِ كاسرًا طرفَه لا يُحِدَّ النظرَ لأحَد، هذا حاله في السِّلم، فأما إذا لقيتَه في الحربِ تعجّبتَ من قوة اقتحامه وشدّة إقدامه، حتىٰ إنك لتراه يقترب من أطراف الرماح وهي قريبةٌ تكاد تنوشه!

وكالسـيفِ إن لاينتَـه لانَ مسُّـهُ وحـدّاهُ إن خاشـنتَه خشِـنانِ

لاينته: عاملته باللين واللطف.

خاشنته: عاملته بالخشونة والقسوة.

يقول: وهو -في شِيَمه وطِباعِه- كالسيف، إن عاملتَه باللين لاقيتَ منه لينًا كالذي تلقاه في صفحتَي السيف عند لمسه، وإن عاملتَه بالحِدَّة لاقيتَ منه حدةً كالذي تلقاها من حدِّ السيف ومضربِه.

---

(١) هو أبو الشيص، محمد بن عبدالله الخزاعي، شاعر عباسيٌّ مولَّد مشهور، وقد فضّلَه الخليفة المأمون على سائر طبقته، ولكن وجود شعراء في عصره كمسلم بن الوليد وأبي نواس أخمل ذكرَه كما يقول الأصفهاني، وشِعره كثير مستجاد في الحماسة والأمالي وغيرها، وهو ابن عم الشاعر دعبل الخزاعي.

وهذا اللين إنما يُحمَد في الشريف الـمُقتدِر، فإن لينه يكون عن مقدرة وقصد، أما الذليل العاجز فلا يُحمَد فيه ذلك، بل يُذم كما قال أبو تمام:

لانَتْ مهَـزَّتُـه فعـــــزَّ وإنمـا　　يشـتدُّ بـأسُ الرّمـــحِ حيـن يليـنُ

وتـرىٰ الكريـم يعِـزُّ حيـن يهـونُ　　وتـرىٰ اللئيـم يهـونُ حيـن يهـونُ

شرح أبيات (لولا بُنيَّات...)

وقال حطّانُ بن المعلّىٰ[1]:

لـولا بُنيّـاتٌ كزُغـبِ القَطـا ... رُدِدْن مـن بعـضٍ إلـىٰ بعـضِ

لـكان لـي مُضطَـربٌ واسـعٌ ... في الأرضِ ذات الطـول والعـرضِ

زُغب القطا: الزُغْب الفِراخ الصغيرة، والقطا نوعٌ من الطير كالحمام، وزُغب القطا: فراخ الطير.

مُضطَرب: الاضطراب الحركة، ويعني: لكان لي متحرَّكٌ وانتقالٌ عما أنا فيه.

يقول: لولا بناتٌ لي صغيرات كأنهنّ أفراخ الطير اجتمعن لي واحدةً بعد أخرىٰ وبنتًا بعد بنت حتىٰ كثُرن عندي لكان لي في الأرض الواسعة مذهبٌ فسيح، ولَأكثرتُ التنقّل والترحال في البلاد، ولكني أخاف ضياعهنّ، وأسعىٰ في عيشهنّ.

وإنمـا أولادُنـا بيننـا ... أكبادُنـا تمشـي علـىٰ الأرضِ

لـو هبَّـت الريـحُ علـىٰ بعضِهـمْ ... لامتنعَـت عينـي مـن الغَمـضِ

يقول: وما محلُّ أولادنا من أنفسِنا إلا محلّ الأكباد من الأجواف، فلسنا نطيق لهم فراقًا، ولسنا نحتمل عنهم صَبرا، ونحن في شفقةٍ عليهم، فلو أن الريح هبّت فسفَت التراب علىٰ أحد أولادي لما استلذّ لي نوم، ولا غمض لي جفن.

---

(١) هو حطّان بن المعلّى الطائي، وقيل اسمه: خطاب، شاعر إسلامي بدوي مغمور، واشتُهر بقطعته هذه التي انتقاها أبو تمام في حماسته.

وهذه الأبياتُ تُشبه قول الحماسي في ابنته (أميمة):

لـولا أميمـةُ لـم أجـزَع مـن العـدَمِ ولـم أُقـاسِ الدُّجىٰ في حندسِ الظُّلَمِ
وزادني رغبـةً في العيـشِ معرفتـي ذلَّ اليتيمـةِ يجفوهـا ذوو الرحـمِ

ويشبهها قول الآخر:

لقـد زاد الحيـاةَ إلـيّ حُبًّـا بناتـي إنهـنّ مـن الضعـافِ
أحـاذرُ أن يريـنَ البـؤسَ بعـدي وأن يشـربْن رنقًـا غيـرَ صـافي
فلـولا ذاك قـد سـوَّمتُ مُهـري وفي الرحمـنِ للضعفـاءِ كافِ

شرح أبيات (زجاجة بشرية)

وقال قيس بن الملوّح[1]:

أُقضّـي نهـاري بالحديـث وبالمُنـىٰ ... ويجمعُنـي والهـمَّ بالليـل جامـعُ

يقول: إني أقضي نهاري كله بالحديث عنها، وأصوّر لنفسي جميلَ العواقب فيها، وأنهمك في الخيالات والأماني في وصالها، حتىٰ إذا ما أتىٰ الليل خلا بي جيش الهمُّ وانفردت بي قوافل الحسرة، فتذكرتُ صعوبة مرامي، واستحضرتُ بُعد آمالي.

لقـد ثبَتـت في القلـب منـكِ محبـةٌ ... كمـا ثبتـت في الراحتيـن الأصابـعُ

يقول: ألا إن محبتكِ في نفسي باقيةٌ دائمة، ومودتكِ في فؤادي مستمرةٌ متصلة، ولقد ثبتَ هواكِ في قلبي ثباتًا لا تَزحزُح له كما ثَبَتَتْ في راحةِ اليد الأصابع.

وأنـتِ التي صيّرتِ جسمي زجاجةً ... تنِـمّ علـىٰ مـا تحتويـه الأضالـعُ

تنمّ: تدُلّ عليه وتُبديه.

يقول: وأنت التي هويت فنحلت بعد سِمَن، وضعُفت بعد قوة، ومرضتُ بعد صحة، وبدَتْ عليّ آثار الهوىٰ والحبِّ لكل أحد، حتىٰ أضحىٰ جسمي كالزجاجة التي تكشفُ ما في جوفِها.

---

(١) هو (مجنون ليلى) قيسُ بن ملوح العامري، وهو أحد القَيسين الشاعرَين المتيَّمين، والثاني (مجنون لُبنى) قيسُ بنُ ذُرَيح، وكان ابن الملوح شاعرًا فصيحًا بديعَ المعاني، وأكثر شِعره في النسيب، وتُوفّي مما برّح به من الحُب سنة ٦٨ هـ.

وهذا يشبه المعنىٰ الذي قصده أبو الطيب بقوله:

أمـر الفـؤادُ لسـانَه وجفونَـه   فكتمنَـه وكفـىٰ بجسـمِك مُخبِـرا

شرح أبيات (قتل الأحرار)

قال أبو الطيب[1]:

ومـا قتَـلَ الأحـرار كالعفـو عنهـم ... ومـن لـك بالحرِّ الـذي يحفـظ اليدا

يقول: إن العفو عن الأحرار الكرام الذين يحفظون الأيادي هو قتل لهم، وليس المراد حقيقة القتل، وإنما المراد قتلهم بالإحسان وتملك رقابهم بالمعروف، فمن عفا وصفح عن الحر فكأنما ملك رقبته وجعله ينقاد له، ولكن أين هذا الحر الذي يحفظ النعمة ويقدرها؟! ثم فصَّل في البيت التالي حال الناس مع شكر النِّعم فقال:

إذا أنـت أكرمـت الكريـم ملكتـه ... وإن أنـت أكرمـت اللئيـم تمـردا

فأما الكريم فإنك إذا أحسنت إليه وعفوتَ عنه فإن روحه الطيبة تجعله يذكر هذا المعروف ويشكره، فكأنما أنت ملكتَه بهذا العفو، وأما اللئيم فلا يزيده المعروف والعفو إلا تمردًا وجراءةً عليك، ولذلك ينبغي للإنسان أن يضع كل شيء في موضعه اللائق به، فمن النفوس من لا تصلح إلا بالمجازاة، ومنها ما يصلحها العفو، فلذلك قال:

ووضـع الندىٰ في موضـع السيف بالعلا ... مضـرٌّ كوضـع السيف في موضـع الندىٰ

الندىٰ: العطاء.

يقول ينبغي أن يعامل كل إنسان بما يصلحه، ويناسب طبيعته وحالَه.

---

(١) تقدمت ترجمته.

شرح أبيات: (هوى الفؤاد)

وقال المتنبي كذلك:

صار ما أوضعَ المخِبُّون فيه   من عتاب زيادةً في الودادِ

أوضع الراكب بعيره: إذا حثه علىٰ السير السريع.

المخبون: الذين يحملون مطاياهم علىٰ الخبب، وهو نوع من الركض.

يقول: صار ما أراده الذين سعوا في الوشاية وإيقادِ فتيل العداوة سببًا في زيادة الوداد.

وكلامُ الوشاة ليس علىٰ الأحـ   ـباب، سلطانه علىٰ الأضدادِ

كلام الوشاة ليس له سلطان علىٰ الأحباب، وإنما سلطانه علىٰ الأضداد، فهو لا يؤثر إلا في الأعداء.

إنما تُنْجِحُ المقالة في المر   ءِ إذا صادفتْ هوًىٰ في الفؤادِ

يقال: أنجحَ حاجتَه، إذا أصابها.

وهذا تأكيد لما سبق، فالقول لا يؤثر في نفس الإنسان إلا إذا صادف هوىٰ في قلبه.

وهذا كما سبق من قول الطِّرِمَّاح بن حكيم:

متىٰ مَا يَسُؤْ ظَنُّ امرئ بِصَدِيقِهِ   وللظنِّ أسبابٌ عِراضُ المسارِحِ

يُصَدِّقْ أمورا لم يجئْه يَقينها   عليه، ويعشقْ سمعُه كلَّ كاشِحِ

وقد مضىٰ أن المرء إذا أَنِس إلىٰ كلامٍ لمصادفةِ هوىً في نفسه صار يميل إليه وتتعشَّقه أذناه، وإن لم يكن حقًّا، وقد أشار إلىٰ هذا المعنىٰ ابن خلدون في مقدمته فقال: (النَّفسُ إذا كانت علىٰ حال الاعتدالِ في قَبولِ الخبرِ أعطتْه حَقَّه من التَّمحيصِ والنَّظر، حتَّىٰ يتبيَّن صدقُه من كذبِه. وإذا خامَرَها تشيُّعٌ لرأيٍ أو نِحلةٍ، قبِلَت ما يُوافِقُها من الأخبارِ لأوَّلِ وهلة، وكان ذلك المَيلُ والتَّشيُّعُ غطاءً علىٰ بصيرتِها عن الانتقاد والتَّمحيص، فيقعُ في قَبولِ الكذب ونقلِه).

شرح بيتي (مماطلة)

إن كنتَ لم تنوِ فيما قلتَ لي صلةً   فما انتفاعُك من حبسي وترديدي؟

صلة: يعني عطاءً.

يقول: إن لم ترد أن تفي لي بوعدك الذي أخبرتَني به، وتجزل لي في عطائك الذي أطمعتَني فيه، فماذا تنتفعُ بمماطلتي؟ ولماذا تبقيني معلَّقًا بك، محبوسًا عندك، متردّدًا عليك! فاليأس أيسر على النفس من رجاءٍ لا يتحقق!

فالمنعُ أجملُه ما كان أعجلَه   والمطلُ من غير عسرٍ آفة الجودِ

المطل: التسويف والتأخير والمدافعة في إنجاز الوعد والدَّين ونحوه.

عُسر: قلة ذات اليد، وانقطاع المال.

آفة: عيب.

يقول: فإن أجملَ المنعِ وأنفعَ الحرمانِ ما كان عاجِلًا، لا يمدّ لصاحبه خيطًا من الأمل قد ينقطعُ به، وإن أَعظم ما يُشان به المرء ويُعاب أن يكون مماطلًا من غير عُسر، ومسوِّفًا من غير عُذر.

قال أبو العتاهية:

أكُلَّ طولِ الزمان أنتَ إذا   جئتُك في حاجةٍ تقول: غدا!

لا جعل الله لي إليكَ ولا   عندكَ ما عِشتُ حاجةً أبدا

وقال ابن الرومي:

إذا أنــتَ أزمعــتَ الصنيعــةَ مــرةً   فـلا تعتصِـرْ مـاء الصنيعـةِ بالمطـلِ

ولا تخلِـط الحُســنىٰ بســوءٍ فإنّــه   يجشّـمُنا أن نخلـطَ الشـكرَ بالعـذلِ

شرح أبيات (شيمتك الحياء)

وقال أمية بن أبي الصلت[1]:

أأذكرُ حاجتي أم قد كفاني ... حياؤكَ إن شيمتك الحياءُ

شيمتك: خُلقك وطبعُك.

يقول: هل أذكر بين يديكَ حاجتي التي جئتُ أريدها؟ أم أصمتُ عنها معتمدًا علىٰ فضل فطنتك، وسعة معرفتك، ورهافةِ حِسِّك؟ إذ إن الحياءَ غالبٌ فيك، فلستَ تُحبّ أن ترىٰ سائلًا عرضَ وجهه عليك، وساقه الفقرُ إليك.

وعلمُك بالحقوقِ وأنت فرعٌ ... لك الحسَبُ المهذَّبُ والسناءُ

الحسب المهذب: الحسب هو كريمُ الفعال في الآباء والأبناء.

السناء: العلوُّ والارتفاع، يريد علوَّ نسَبه وشرَف حسَبِه.

يقول: ويكفيني كذلك علمُك بمنازل الناس وحقوقهم، ومقادر الكرام وحاجاتهم، فإنك فرعٌ لأصلٍ كريم جمعَ الحسَبَ الزاكي والنسَبَ الشريف.

إذا أثنىٰ عليكَ المرءُ يومًا ... كفاهُ من تعرّضِه الثناءُ

يقول: إذا ما قام إنسانٌ بين يديك يومًا، وأخذ يُثني عليك بكريم الخصال، ويذكرك بطيبِ الفعال؛ لم يحتج فوقَ ذلك أن يسألك حاجتَه، لأنَك ستغنيه بإحسانك وجودِك عن التعرض للحاجة والسؤال.

---

(١) تقدمت ترجمته.

قال أبوبكر المخزومي:

وإذا طلبتَ إلىٰ كريمٍ حاجــــــةً   فلقــاؤهُ يكفــيكَ والتســليمُ
فــإذا رآك مســلِّمًا عــرف الــذي   حمّلــــتَه وكأنّه مــلــــزومُ

وقال أبو الطيب المتنبي:

وفي النفسِ حاجـاتٌ وفيـك فطانـةٌ   سـكوتي بيـانٌ عندهـا وخطـابُ!

شرح بيتي (لا أرى أحدا)

قال دعبل الخزاعي[1]:

ما أكثرَ الناسَ! لا بَلْ ما أَقلَّهمُ	اللهُ يَعْلمُ أَنِّي لم أَقُلْ فَنَدَا
إنِّي لأفتحُ عَيْني حِينَ أَفْتَحُها	علىٰ كَثيرٍ .. ولكن لا أَرَىٰ أحدا

الفَنَد: الكذب.

يقول: ما أكثرَ الناس، بل ما أقلّ الناس! والله يعلم أني لم أقل قولا كذبا في الأولىٰ ولا في الثانية.

فما أكثرهم من جهة العدد، وما أقلَّهم من جهة القيام بالواجبات والإعانة علىٰ المكارم، فما أكثرهم عددا وما أقلهم نوعا، وفي الصحيح قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: (إنما الناس كإبل مئة لا تكاد تجد فيها راحلة)[2]، قال ابن بطال: معنىٰ الحديث أن الناس كثير، والمرضيَّ منهم قليل[3].

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) رواه البخاري (٦٤٩٨) ومسلم (٢٥٤٧).

(٣) شرح البخاري لابن بطال (١٠/ ٢٠٧).

شرح بيتي (لم يستوفِ قط كريم)

قال الخطَّابي[1]:

تسامحْ ولا تستوفِ حَقَّكَ كُلَّهُ　　وأبقِ، فلم يستوفِ قطّ كريمُ

تسامحْ ولا تحرصْ علىٰ استقصاء حقوقك كاملةً، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه[2]: ما استقصىٰ كريم قط!

ولا تغلُ في شيءٍ من الأمرِ واقتصدْ　　كلا طرفي قَصْدِ الأمورِ ذميمُ

اقتصد في كلِّ شؤونك وعامَّةِ أحوالك، ولا تغلُ في شيءٍ منها، وكُلُّ أمرٍ مِنْ أمورك ففيه طرفانِ مذمومان ووسَط ممدوح، ولزوم القصد أعظم ما يعين الإنسان علىٰ المواظبة في جميع شؤونه حتىٰ عباداته وقرباته، فالشيطان إذا علم من الإنسان عزيمةً علىٰ الخير، وأيِسَ من تثبيط همته وإعادته نحو الوراء، فإنه يغير استراتيجية المعركة ويدفعه دفعًا باتجاه الأمام، ويؤزّه أزًا إلىٰ مراتب عليَّة يعلم أنه لن يطيقها إلا مدةً يسيرة، ويسهِّلها عليه تسهيلا، ثم ما يلبث العبد إلا وينقطع، فالخير دومًا في لزوم الهدي النبوي في المداومة ولو علىٰ القليل والاقتصار علىٰ المشروع، والترقي شيئًا

(١) هو حمْد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي، كنيته أبو سليمان، وهو فقيه ومحدث، من أهل بست من بلاد كابل، وهو من نسل زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب، للخطابي مؤلفات منها: معالم السنن في شرح سنن أبي داود، وبيان إعجاز القرآن، وإصلاح غلط المحدثين. توفي سنة ٣٨٨هـ.

(٢) الاستذكار لابن عبدالبر (٨/ ٥٧٦).

فشيئًا، ولذلك يروىٰ عن بعض السلف أنه قال: (ما أمر الله تعالىٰ بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلىٰ غلو، وإما إلىٰ تقصير، فبأيِّهما ظفر قنع)[1].

---

(١) العزلة الخطابي (٢٣٧).

شرح أبيات (نوم مشرَّد)

قال أبو تمام[1]:

ولـم تعطنـي الأيـامُ نومًـا مُسَـكَّنًا   أَلَـذُّ بـه إلا بِنـومٍ مشـرَّد

يقول: لم أنم في حياتي نومةً ساكنةً، إلا وقد سبقها نومٌ مشرَّد مطرّد، فلا يمكن للمرء أن يصل إلىٰ الراحة إلا علىٰ جسر التعب.

وطـولُ بقـاءِ المـرء في الحـي مُخْلِـقٌ   لِديباجَتَيـهِ فاغتـربْ تتجـدَّدِ

الديباجتان: الخدَّان.

والمقصود أن الإنسان إذا مَكَثَ في مكانٍ واحد وأبىٰ الاستجابة لمطالب السفر إذا قامت، ونأىٰ عن دواعي الاغتراب إذا نادت، فإنه يَمَلّ ويُمَلُّ ويذبل ويخلولِق، وفي اغترابه وسفره يجد عوضًا عمن تركهم، وينبعث نشاطه، ويتجدَّد أديمُه، ويشتاق إليه الناس الذي فارقهم، بخلاف من كان حضوره دائمًا، فإنه مع مرور الأيام يمل الناس ويملونه، ثم ضرب مثالا علىٰ فضل الغياب فقال:

فـإني رأيـت الشـمس زيـدتْ محبـةً   إلىٰ الناس أن ليست عليهم بسرمدِ

فالناس إنما زادت محبتهم للشمس لأنها تغرب وتشرق، تضيء وتأفل، ولو كانت قائمة في وسط السماء سرمدًا لما عرف الناس فضلها.

---

(١) تقدمت ترجمته.

شرح أبيات (أطعتُ مطامِعي)

قال القاضي عبد الوهاب المالكي[1]:

طلبتُ المستقرَّ بكل أرضٍ ... فلم أرَ لي بأرضٍ مستقرًا
ونِلْتُ من الزمان ونالَ مِنِّي ... فكان منالُهُ حُلْواً ومُرًا

طلبت الاستقرار في حياتي في كل أرض فلم أجده بأي أرض، ونلت في زماني المكاسب كما نلت المصائب، ووجدت منال الزمان حلوًا ومرًّا.

أطعتُ مطامِعي فاستعبدتني ... ولو أني قنعتُ لكنت حُرًّا

حين أطعت مطامعي وشهواتي أصبحت أسيرًا لها، فهي إما شهوات تتمنع عليّ ولكني بالطمع أتطلبها حتىٰ أكون أسيرا لمطالِبها ولما يوصلني إليها، وإما شهوات تتحقق لي فأستمر في طلب المزيد منها وفي الخضوع لما أظنه يديمها، ولو أني قنعت بما وهبني ربي من نعمٍ لكنتُ حُرّا لا أخضع لغير خالقي، فالنفس إذا طمعت واستشرفت فإنها تستعبد صاحبها.

---

(١) هو عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي، القاضي أبو محمد، أحد أئمة المذهب المالكي، سمع أبا عبد الله العسكري وأبا حفص بن شاهين، وكان شاعرا حسن العبارة، لقي أبا العلاء المعري، وأطرى المعريُّ شِعره وعِلمه، ولي قضاء المالكية بمصر آخر عمره وبها مات قاضيا، توفي سنة ٤٢٢ هـ.

شرح أبيات (قناة صليبة)

قال إبراهيم النبهاني[1]:

تعــزَّ فــإن الصبــرَ بالحُــرِّ أجمَــلُ   وليــس علـىٰ ريـبِ الزمـانِ معـوَّلُ

تعزّ: اصبر وتجلَّدْ.

ريب الزمان: حوادث الدهر ونوائبه.

معول: مُعتمَد ومُتّكَل.

يقول: تصبّر وتجلّد، فإن الصبر أحسنُ وأجمل للفتىٰ الحرّ من الخضوع والتذلل، وهذه الأحداثُ ليست علىٰ حالة واحدة، بل هي كثيرة التبدل والتحوّل، فلا يُعتمد عليها ولا يُتّكل، فهي تحسن وتسيء، وتجمعُ وتفرّق.

فــإن تكــن الأيّــامُ فينــا تبدّلَــتْ   ببؤسـىٰ ونُعمـىٰ، والحـوادثُ تفعَـلُ

فمــا ليّنــتْ منــا قنــاةً صليبــةً   ولا ذلّلتْنــا للتــي ليــس تجمُــلُ

بؤسىٰ: البؤسىٰ والبأساء: المصائبُ والآفات. النُعمىٰ: النُعمىٰ والنعماء: رغد العيش وحلاوته.

قناة صليبة: أصلُ القناة الرمح، والعربُ تستعير القناة كنايةً عن عزةِ الرجل وبأسه وامتناعه.

---

(١) هو إبراهيم بن كُنيف النبهاني، شاعر إسلامي مُقِل، وهو مشهور بلاميّته هذه التي اختار منها أبو تمام في حماسته أبيات عدة.

التي ليس تجمُل: أي للذي لا يحسُن بنا من الخضوع والعار، واستغنىٰ بالتعريضِ به دون التصريح زيادةً في الأنفةِ منه، وتوكيدًا لبُعد محلهم عنه.

يقول: ولئن كانت هذه الأيام دارت بنا بالنعماء مرةً وبالبأساء مرةً أخرىٰ -كعادة الدهر- فإنها لم تغيّر فينا شيئًا! فلم تُضعِف قوتنا، ولم تُنقِص عزمنا، بل بقينا أعزةً لم تُذلّنا نوائبُ الزمان.

ولكــن رحلناهــا نفوسًــا كريمــةً   تُحمّــل مــا لا يُســتطاعُ فتَحمــلُ

رحلناها: حملنا عليها، يُقال رحلَ البعيرَ إذا حمَل عليه.

يقول: وإنّا قد هيأنا لنوائب الدهر وأعددنا لحوادث الزمان نفوسًا كريمةً أبيّة، نحملها علىٰ صعاب المراكب، ونجشمها مضايق الأمور، فتحمِل ما يضيق عن حمله الرجال.

شرح أبيات (لزوم العصا)

قال لبيد بن ربيعة[1]:

وما المرءُ إلا كالشِّهابِ وضوئِه   يحورُ رمادًا بعدَ إذْ هو ساطعُ

يحور: يرجع.

ليس المرء إلا كالشهاب يلتمع في الأفق ثم يكون رمادا يضمحلّ ويخبو، يضيء ثم يذهب نورُه بالهرم والشيخوخة، ويعقب ذلك الزوال والفناء.

أليس ورائي إن تراخت مَنِيَّتي   لُزُومُ العصا تُحنىٰ عليها الأصابعُ
أُخَبِّرُ أخبارَ القرون التي مَضَتْ   أَدِبُّ كأني كلما قُمْتُ راكعُ!

أليس ورائي إن تأخرت مَنِيَّتي وانفسَح أجلي أيامُ الضعف والخبو والهزال التي ألزم فيها العصا وأحني عليها الأصابع، وأدبُّ دبيبًا إذا أردت المشيَ، وأظلُّ في تلك الحال أخبِّر من لاقيتُ بأخبار القرون التي مضت وأنا قائمٌ علىٰ هيئةٍ تشبه هيئة الراكع؟!

---

(١) هو لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، أحد أصحاب المعلقات السبع، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم، فهو من الصحابة، عزف عن قول الشعر بعد الإسلام، قيل بأنه لم يقل في الإسلام إلا بيتا واحدا، وهو:
ما عاتب المرء الكريم كنفسه   والمرء يصلحه الجليس الصالح.
عاش لبيد عمرا طويلا. كان كريما: نذر أن لا تهب ريح الصبا إلا نحر وأطعم.

شرح بيتي (خاتل يدنو لصيد)

قال أبو الطمحان القيني[1]:

حَنَتْنــي حانِيــاتُ الدَّهــر حتــىٰ كأني خاتِــل يدنــو لصيــدِ

قريــبُ الخطــوِ يحسَــبُ مَــن رآني -ولســت مقيَّــدًا- أني بقيــدِ

خاتِل: فاعل من المخاتلة. والمخاتلة في الأصل المشي للصيد في خُفيةٍ وبطء لئلا يسمع الصيدُ حِسًّا. ثم صارت المخاتلة تطلق في كل ما وُرِّي وعُمِّي علىٰ صاحبه.

وصف الشاعر نفسه حين بلغ الشيخوخة بوصفين بليغين:

أحدهما يتعلق بوقوفِه، **والثاني** يتعلق بمشيِه.

فأما ما يتعلق بوقوفه فيقول في البيت الأول:

حنتني حانيات الدهر أي جعلتني حوادث الدهر وأيامه منحنيًا راكِعًا في مشيتي كأني خاتِل يمشي في خفية وبطء نحو صيدٍ لاح له، والخاتِل من عادته أن يدنو متروِّيًا متمهِّلًا محاذِرًا أن يستفز الصيد فيهرب.

وأما ما يتعلق بمشيه فيقول في البيت الثاني:

خطواتي متقاربة من بعضها حتىٰ إن من رآني ليتوهّم أني مقيَّد ولست كذلك.

---

(١) هو أبو الطمحان القيني، اسمه حنظلة بن الشرقي من بني كنانة بن القين. من المعمرين، قال أبو حاتم: عاش أبو الطمحان القيني مائتي سنة.

شرح أبيات (قذى عينيه)

قال عبد الله بن الزَّبير[1]:

سأشكرُ عَمْرا ما تَراخَت مَنِيَّتي ... أيادِيَ لم تُمنَنْ وإن هيَ جَلَّتِ

جلت: عَظُمَت.

يقول: سأظل شاكرا لعمرو ما تأخر موتي وانفسح أجلي، وسأبقىٰ ذاكرًا لأياديه الجسيمة ونِعَمِهِ العظيمة التي لم يكدِّرها بمِنَّةٍ ولا أذىٰ.

فتىٰ غيرُ محجوبِ الغِنىٰ عن صديقِهِ ... ولا مُظْهِرِ الشَّكوىٰ إذا النَّعلُ زَلَّتِ

شرع في وصف عَمرو، وأثنىٰ عليه بصفتين نادرتين تكمل كل واحدة منهن الأخرىٰ:

الأولىٰ: أن عَمْرًا إذا اغتنىٰ فإن غناه متعدٍ إلىٰ أصدقائه وأصحابه.

والثانية: أن عمْرا إذا افتقر فإن فقره لازِم له، فليس هو بمظهر الشكوىٰ لغيره.

و(زلتِ النعل به) كلمة تقال في الكناية عن نزول الشر به.

رأىٰ خَلَّتي من حيثُ يخفىٰ مكانُها ... فكانت قَذىٰ عينيهِ حتىٰ تَجَلَّتِ

الخلَّة: الحاجة.

---

(١) هو عبدُ الله بن الزَّبير بن الأشيم بن الأعشى بن بَجَرة الأسدي. شاعر كوفي، من شعراء الدولة الأموية ومن شيعتهم والمتعصب لهم، وهو في أبياته المختارة يمدح بها عمرو بن عثمان بن عفان.

يقول: رأىٰ حاجتي المستورة التي لم أبحْ بها، فهو تيقَّظ لها دون بوحٍ مني، ثم اهتمّ بها واغتمَّ لأجلها فكانت كأنها قذىٰ العين، لا يسكن حتىٰ يزيله منها.

ومن كانت هذه صفته من الأصدقاء فقد بلغ الغاية في الإحسان علىٰ أخيه، قال أبو هلال العسكري عن هذه الأبيات -بتصرف يسير-: (هي أبلغ ما قيل في اهتمام الرجل بأمر أخيه، وقوله: «من حيث يخفي مكانها» أبلغ لأنه يدل علىٰ تفقد شديد وعناية تامة. وقوله: «قذىٰ عينيه» لا يقوم مقامه شيء في شدة الاهتمام؛ لأن الانسان إذا قذيت عينه صرف الهمة إلىٰ تقذيتها من غير اشتغال بشيء غيرها)[1].

---

(١) ديوان المعاني (١/ ١١٠).

شرح أبيات (منه شيبانُ)

قال ابن الرومي[1]:

قالوا أبو الصقرِ من شيبانَ قلتُ لهم: كلا لعمري، ولكن مِنْهُ شيبانُ
وكم أبٍ قد علا بابنٍ ذُرىٰ شَرفٍ كما علا برسول الله عدنانُ
تَسمو الرجال بآباءٍ، وآونةً تسمو الرجال بأبناءٍ وتزدانُ

الذرىٰ جمع ذروة، وهي أعلىٰ الشيء.

يقول بأنهم قالوا بأن أبا الصقر فرع من أصل شيبان، فذكرت لهم أنه هو الأصل الذي تنسب إليه شيبان، وقصد بذلك المغالاة في الثناء عليه، وأن أصله يشرف به، وليس هو من يشرف بأصله، كما يقول المتنبي:

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بالجدودِ

ولا شك أن عدنان هي من شرفت برسول الله وعلت به مع شرف قبيلَتِه قبل مَبْعَثِه، فإن الرجال إن كانت تسمو بآبائها فكم قد سما وشَرُف الآباء والأجداد بالأبناء والأحفاد.

---

(١) تقدمت ترجمته.

شرح بيتي (صبر الراس)

قيل إنه لما مات العباس بن المأمون جزع عليه المعتصم جزعًا شديدًا، فدخل عليه أعرابيٌّ فلما بصر به قال:

اصبر نكن لَكَ تابعين فإنما صبر الجميع بحُسْنِ صبر الراسِ

اصبر -أيها الكبير في قدره ومكانته- علىٰ هذه المصيبة التي نزلت علينا نكن تابعين لك في الصبر والتسلي، فإنه إذا صبر الرأس والأسوة كان معينًا لسائر الناس علىٰ الصبر والثبات، وإذا تضعضع الرأس اضطربت سائر الأعضاء.

خيرٌ من العباسِ أجرُك بعده والله خيرٌ منك للعباسِ

لو تأملتَ فسترىٰ أن في طيات هذه المصيبة التي نزلت خيرين عظيمين:

أحدهما يتعلق بك، والآخر يتعلق بهذا الذي تحزن علىٰ وفاته:

فأما ما يتعلق بك فهو أجر الصبر، فهذا الأجر خير لك وأبقىٰ من بقاء حبيبك علىٰ قيد الحياة.

وأما ما يتعلق بالعباس فهو عند ربك، وهو أرحم به، وهو خير له منك، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الشورىٰ:٣٦].

شرح بيتي (إحدى يدي أصابتني)

قال أعرابيٌ قتل أخوه ابنا له فَقُدِّم إليه ليقتاد منه، فألقىٰ السيف وهو يقول:

أقـولُ للنفـسِ -تَأْسـاءً وتعزيـةً-: إحـدىٰ يـديَّ أصابتنـي ولـم تُـرِدِ

أقول لنفسي متأسيا بغيري ومعزيا لها: هذا الذي جنىٰ عليّ وقتل ولدي هو بمنزلةِ إحدىٰ يَديّ، فهل أنا قاطع يدي إذا أصابت جسدي دون قصد؟!

وقوله: «ولم ترد» فيه التماس العذر لأخيه، وأنه ما قصد الجناية وإنما ربما حمله عليها الغضب الذي أعمىٰ بصيرته.

كلاهمـا خَلَـفٌ مِـن فَقْـدِ صاحِبِـهِ هـذا أخي حين أدعوه، وذا ولَدي!

كلا الرجلين القاتل والمقتول عوضٌ لي إذا فقدتُ الآخر، فإذا فقدت ابني وجدت في أخي سلوة وخَلَفًا، وما داما كذلك فإني إذا فقدتُ أحدهما فلن أفرط بصاحبه، بل سأحرص علىٰ استبقائه حَيًّا فهو خَلَف لي عما فاتني، وهو عوضٌ أعزِّي به نفسي.

شرح أبيات (قومٌ سواء)

وقال أعرابي يهجو قومًا من طيء:

ولما أن رأيتُ بني جوينٍ جلوسًا ليس بينهمُ جليسُ
يئستُ من التي قد جئتُ أبغي لديهم، إنني رجلٌ يؤوسُ

يقول: لما وفدتُ علىٰ بني جُوين بن عبد رضا الطائيين -أرجو كرمهم، وأطمع في نوالهم- فرأيتهم جالسين إلىٰ بعضهم، لا أرىٰ لأحد منهم مزية علىٰ غيره، ولا أُبصر لرجل منهم فضلا علىٰ من سواه؛ يئستُ من إنجاحهم حاجتي التي أتيتُ لأجلها، فإن شرَّ القوم من لا رئيس لهم ولا كبير عليهم، فهم في المرتبة والفضل سواء، وكذلك دأبي في اليأس من القوم الذين هذه صفتهم.

إذا ما قلت أيهم لأيٍّ تشابهت المناكبُ والرؤوسُ

يقول: وتراهم إذا ما سألت أي واحد فيهم فقلتَ: أيهم يُرد إليه الأمر؟ وأيهم كذا؟ وأيهم كذا؟ لم تجد أحدًا يفضُل أخاه، ولا رجلًا يتقدّمُ غيرَه! فهم قومٌ سواء متشابهون، وأيُّ فسادٍ بعد هذا؟

وهذا معنىٰ معروف عند العرب، فإنهم يقولون في ذم القوم (هم سواء كأسنان المشط)!

وهو نحو قول الشاعر:

سواء كأسنان الحمارِ فلا ترىٰ لذي شيبةٍ منهم علىٰ ناشئٍ فضْلا

شرح أبيات (حجة اللئام)

قال المتنبي[1]:

ذلَّ مــن يغبــط الذليــل بعيــشٍ   ربَّ عيــشٍ أخــفُّ منــه الحِمــامُ

الحِمام: الموت.

يقول: مَن يغبط الذليل علىٰ عيشه فهو ذَليل، وربّ موتٍ هو أخف علىٰ النفس من هذا العيش!

كل حلــمٍ أتــىٰ بغيــر اقتــدارٍ   حجــةٌ لاجــئٌ إليهــا اللئــامُ

كلُّ حلمٍ يحصل بالعجز فليس حِلمًا علىٰ الحقيقة، وإنما هو حجة للعاجز اللئيم، وإنماً يحسن الحلم ويجمل العفو عند المقدرة علىٰ ضدّه، فليس العفو محمودًا في كل الأحوال، فقد يكون الانتصار مستحبا تارةً وقد يكون واجبًا تارةً أخرىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ [سورة الشورىٰ:٣٩]. وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن في الآية المذكورة فائدةً عظيمة، وهو أنه حَمِدَهم علىٰ أنهم ينتصرون عند البغي عليهم، كما أنهم يعفون عند الغضب، ليسوا مثل الذي ليس له قوة الانتصار، ويعفون لعجزهم أو كسلهم أو وهنهم أو ذلهم أو حزنهم، فإن أكثر من يترك الانتصار بالحق إنما يتركه لهذه الأمور وأشباهها)[2].

مــن يَهُــن يســهل الهــوان عليــه   مــا لجــرحٍ بميــتٍ إيــلامِ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) الفروع، ابن مفلح (١٠: ١٦٧).

كل من كانت نفسه هَيِّنَة عَليه، فإنه مطبوعٌ علىٰ احتمال الذل وتجرعه، ولا تراه يكترث بما يَلحَقُه من الهوان، فصاحب هذه النفس ذليل لا تؤلمه الإهانة ولا يحسّ بها أصلا، فهو كالميت لا يشعر بألم الجراح.

شرح أبيات (سهل فيها إذا هو كانا)

وقال أيضا:

وَلَـوَ انَّ الحيـاةَ تبقـىٰ لحـيٍّ   لعددنـا أضلَّنـا الشـجعانا

لو كانت الحياة تبقىٰ لأحد من الناس لكنا نعتبر الشجاعة غباوةً، ولعددنا الشجعان أضلَّ الناس وأحمقَهم، ولكنَّ المنايا تأخذ بحُجَزِ الشجعان والجبناء، لا تستثني أحدًا.

وإذا لـم يكـن مـن المـوتِ بُـدٌّ   فَمِـنَ العَجْـزِ أن تكـونَ جبانـا

ما دام الموت نهاية الجميع، فمن العجز أن يكون الإنسان جبانًا، ويروىٰ أن خالد بن الوليد كان يقول علىٰ فراش الموت: في جسدي مائة طعنة وضربة، وها أنا قد مت حتف أنفي، فلا أقرَّ الله أعين الجبناء[1]!

كلُّ مـا لـم يكن، من الصعب في الأنـ   ـفس، سـهلٌ فيهـا إذا هـو كانـا

كل ما يتهيبه الإنسان إنما يصعب علىٰ النفس زمن ارتقابه قبل وقوعه، فإذا وقع المهيب سهل علىٰ النفس وهان عليها. وكما قيل:

لعمـرك مـا المكـروه إلا ارتقابـه   وأبـرحُ ممـا حـلَّ مـا يتوقـعُ

(١) انظر: الاستيعاب (٣/ ١٦٩)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٨٢)، ومجمع الأمثال (٣٧٧٠).

شرح أبيات (رجال الحقائق)

قال الوزير ابن المغربي[1]:

مـررتُ بقبـرِ ابـنِ المبـارك غُـدوةً ... فأوسَـعَني وَعْظًـا، وليـس بناطـقِ

وقـدْ كنتُ بالعلـمِ الذي في جوانِحي ... غَنِيًّـا، وبالشـيبِ الـذي في مَفارِقـي

ولكـنْ أرىٰ الذِّكـرىٰ تنبِّـه غافِـلا ... إذا هـي جاءتْ مِـن رجـالِ الحقائقِ

الغُدوة: أول النهار.

المفارق: جمع مفرِق، وهو وسط الرأس، وهو الذي يُفْرَقُ فيه الشعر.

يقول: مررت بقبر الإمام عبدالله بن المبارك رحمه الله أولَ النهار، فوعظني مرأىٰ القبر رغم صمته وهموده وعظًا مؤثرًا، وقد كنت مستغنيا عن هذه الموعظة بما في صدري من العلم، وبما في رأسي من الشيب، فإن العلم والشيبَ واعظان بليغان، ولكني أرىٰ الذكرىٰ تنبِّه غافلا مثلي إذا جاءت من رجالٍ أدركوا الحقائق واستبانت لهم مآلات الأمور فشغلوا زمانهم بما ينفعهم، وقطعوا أيامهم بعمران آخرتهم، وقد كان عبد الله بن المبارك من فلتات الزمان وأفذاذ الرجال، كان حافظًا، محدثًا، مجاهدًا، عابدًا، أكثر من الترحال والتطواف، وكان تاجرًا ينفق علىٰ إخوانه في الله، ويجهزهم معه إلىٰ الحج. قال سفيان: إني لأشتهي من عمري كله أن أكون

(١) هو الحسين بن علي بن الحسين المصري الوزير، شاعر أديب، قال الذهبي: له نظم في الذروة، ورأي ودهاء وشهرة وجلالة، وكان جدهم يلقب بالمغربي لكونه خدم كاتبا على ديوان المغرب، وأصله بصري. كان شيعيا. توفي سنة ٤١٨هـ ودفن بالكوفة بوصية منه.


سنة مثل ابن المبارك، فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام[1].

(١) انظر ترجمة الإمام ابن المبارك في: التاريخ الكبير (٥/ ٢١٢)، وتهذيب الكمال (٥/ ١٦)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٩).

شرح أبيات (حقيقة الفخر)

قال أبو الأسود الدؤلي[1]:

كم من حسيبٍ أخي عِيٍّ وطمطمةٍ فدمٍ لدىٰ القومِ معروقٍ إذا انتسبا

في بيت مكرمةٍ، آباؤهُ نجبٌ كانوا رؤوسًا، فأمسىٰ بعدهم ذنبا

عِي وطمطمة: العِيّ العجز في القول والفعل، والطمطمة: العجمة وترك الإبانة في الكلام.

فدم: أحمق ثقيل الفهم.

معروق: عريقُ الأصل والنسَب.

يقول: كم من رجلٍ معروفٍ بالنسب العريق، ومشهورٍ بالآباء الكرام، لكنه بعيد منهم في مآثرهم، مباينٌ لهم في أفعالهم، لا يستطيع الإبانة، ولا يُحسِن الكلام، وتراه كذلك أحمقًا غليظَ الفهم، علىٰ أنه من بيتِ شرفٍ ومجد! فهو وإن كان آباؤه رؤسًا أشرافًا في الناس إلا أنه فيهم ذنبٌ مذموم، فلا هو الذي حمل شرفَ أبائه، ولا هو الذي سعىٰ لمروءةِ نفسِه.

وخاملٍ مقرفِ الآباء ذي أدبٍ نال المعاليَ بالآدابِ والرتبا

---

(١) هو ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي، تابعي مشهور، وهو واضع علم النحو، وناقط المصحف الشريف، وكان معروفًا بسعة العلم ووفرة الأدب، وولي إمارة البصرة في خلافة علي رضي الله عنه، وله شعر جيد، وكلام فصيح، مات ٦٩هـ

خامل: مغمور.

مقرف الآباء: آباؤه ليسوا بمعروفين، وليس هو بذي نسَب.

يقول: وكم من رجلٍ لا يُعلم نسبُه، ولا يُعرفُ آباؤه، ولا يُدرىٰ أصلُه وفصلُه، إلا أنه اجتهد في تحصيل الأدب والعلم، فبلغ بذلك عظامَ الأمور، وحصَّل بهذا معاليَ الرتَب.

شرح أبيات (وربُّ الدار كاره)

قال ابن قدامة[1]:

لا تَجْلِسَنَّ ببابِ مَن يأبىٰ عليكَ دخولَ دارِهْ

لا تتطلب قضاءَ حاجاتك من خلال الجلوس ببابِ رجلٍ يغلق دونك الباب ويأبىٰ عليك دخول الدار، وليس المقصود النهي عن الجلوس عند باب هذا الشخص دون غيره، وإنما المقصد أوسع وأعم، وهو أن لا تعتمد في قضاء الحاجات علىٰ أحد من البشر مطلقًا، وإنما اعتمد علىٰ ربك مع فعل الأسباب.

وتقولُ: حاجاتي إليـ ـهِ يَعُوقُها إن لم أُدارِهْ

وتقول في نفسك: حاجاتي التي أتطلب قضاءَها من هذا الرجل، سيعوقها إن لم أقف ذليلا ببابه وأترك مداراته ومداهنته.

اتركْه واقْصِدْ ربَّها تُقضىٰ، وربُّ الدار كارهْ!

اترك هذا الرجل الذي يحتاج لمداراتك ويغلق بابه دونك، واقصد دوما ربَّ الحاجات وكاشفَ الكرُبات، تُقْضَ هذه الحاجة وربُّ الدار غير آذنٍ بذلك ولا

(١) هو موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي الحنبلي، هاجر مع أهل بيته وأقاربه وله عشر سنين، وحفظ القرآن، ولزم الاشتغال بطلب العلم من صغره، إمام المذهب، كان إماما في العلم والعمل والخلُق، قال الضياء المقدسي: ما علمت أنه أوجع قلب طالب، وكانت له جارية تؤذيه بخلقها، فما يقول لها شيئا، وأولاده يتضاربون، وهو لا يتكلّم. صنف (المغني)، و(الكافي) أربعة، و(المقنع)، و(العمدة)، و(مسألة العلو) وغيرها. قال ابن تيمية: ما دخل الشام -بعد الأوزاعي- أفقه من الموفق. توفي ابن قدامة سنة ٦٢٠ هـ.

راضٍ عنه، فإن الله تعالىٰ مسخر الخلق، ومصرف الأقدار، وَمُسَبِّبُ الأسباب، وربُّ الدار مجرد سبب من الأسباب.

وكما يقول عبدالرحمن المكودي:

إذا عرضت لي في زمانيَ حاجةٌ	وقد أشكلت فيها عليَّ المقاصِدُ
وقفتُ بباب الله وقفةَ ضارعٍ	وقلت: إلهي إنني لك قاصدُ
ولستَ تراني واقفًا عند باب مَن	يقول فتاه: سيدي اليوم راقدُ

شرح بيتي: (شكر يستوجب الشكر)

وقال محمود الوراق[١]:

إذا كان شكري نعمةَ الله نعمةً عليَّ له في مثلِها يجب الشُّكْرُ

فكيف بلوغُ الشكرِ إلا بِفَضْلِهِ وإن طالتِ الأيامُ واتَّصل العُمْرُ

المعنىٰ هو أن نعمة الله علىٰ العبد تحتاج إلىٰ شكر المنعم، وتوفيق العبد لأن يشكر نعمة الله عليه هي نعمة أخرىٰ بحاجة إلىٰ شكر، وهكذا تتسلسل النعم وتمتد فلا يمكن للعبد أن يبلغ الشكر الواجب عليه وإن طالت الأيام ولم تنقضِ، واتصل العمر ولم ينقطع، فلا ينتهي الشكر الواجب أبدا، وما للعبد إلا سعة فضل ربه تعالىٰ.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله في مقدمة كتاب الرسالة: (**الحمد لله الذي لا يُؤدىٰ شُكر نعمة من نِعَمِهِ؛ إلا بنعمة منه توجب علىٰ مؤدي ماضي نِعَمِه بأدائها نعمةً حادثةً، يجب عليه شكره بها**)[٢]، وهو عين المعنىٰ المذكور في البيتين.

وقد ذكر بعض الشعراء هذا المعنىٰ بقوله:

لك الحمدُ يا ربي علىٰ كل نعمة ومن جملة النعماءِ قولي: لك الحمدُ!

وقال تعالىٰ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢] قال بعض المفسرين: الرزق هنا بمعنىٰ الشكر[٣]. أي تجعلون شكركم تكذيبا.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) الرسالة للشافعي (٧).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٥٣)، والمحرر الوجيز (٦/ ١١١).

ولا شك أن الشكر والتوفيق إليه من أعظم الأرزاق والنعم، وهما أيضا من أعظم ما تستزاد به النعم كما قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [سورة إبراهيم:٧].

شرح أبيات: (سُلَّمُ الرَّجاء)

قال ابن خزيمة وغيره: حدثنا المزني قال: دخلت علىٰ الشافعي (٢٠٤ هـ)[(١)] في مرضه الذي مات فيه، فقلت: يا أبا عبد الله! كيف أصبحت؟ فرفع رأسه، وقال: أصبحت من الدنيا راحلا، ولإخواني مفارِقا، ولسوء عملي ملاقيا، وعلىٰ الله واردا، ما أدري روحي تصير إلىٰ جنة فأهنيها، أو إلىٰ نار فأعزيها.

ثم بكىٰ، وأنشأ يقول:

ولما قَسا قَلْبي وَضاقتْ مذاهبي ... جعلتُ رجائي دونَ عفوِك سُلَّما

تَعاظَمَني ذنبي فلما قَرنتُهُ ... بعفوِك ربي كان عفوُكَ أعظما

فَما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو مِنَّةً وتكَرُّما

هذه الأبيات قالها الإمام الشافعي رحمه الله في مرضه الذي مات فيه، وهي مليئة -كما ترىٰ- بمعاني الرجاء وحسن الظن بالله تعالىٰ والطمع بنيل رحمته ومغفرته، ومن كان في حال ارتحال عن الدنيا وإقبال علىٰ الآخرة فتغليب الرجاء في فضل الله ورحمته أصلح لحاله، لا سيما إن كان من أهل الاستقامة والصلاح، وقد كان الشافعي رحمه الله إمامًا زاهدًا عابدًا ورأسًا في بث العلم ولزوم السنة والعمل بها،

(١) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، الإمام، فقيه الدنيا، مجدد الدين، ناصر الحديث، مات أبوه ادريس شابا، فنشأ محمد يتيما في حجر أمه، أقبل على العربية والشرع فبرع في ذلك وتقدم، وحفظ شعر هذيل، ثم حبب إليه الفقه فساد أهل زمانه، وهو أول من جرد الكلام في أصول الفقه، ونصر طريق أهل الحديث، وثبت حجية خبر الواحد، والكلام في ترجمته ينبغي أن يطول ولا يملّ. انظر «مناقب الشافعي» للبيهقي. وقد كُتِبَت عنه دراسات معاصرة مفيدة منها «عبقرية الشافعي» لمشاري الشثري.

لذا قال السفَّاريني بعد أن أورد هذه الأبيات: (**هذا حالُ السلف: رجاء بلا إهمال، وخوف بلا قنوط**)[1]. وقال ابن القيم: (**حسن الظن إن حمل علىٰ العمل وحث عليه وساق إليه فهو صحيح، وإن دعا إلىٰ البطالة والانهماك في المعاصي فهو غرور**)[2].

وقد كان الصالحون يستصلحون قلوبهم ويمنحونها ما يقوِّمها من الرجاء أو الخوف، ومتىٰ آنسوا منها انفلاتًا لجموها بلجام التخويف ونصوص الوعيد، فإن استقامت علىٰ الطريقة وأقبلت علىٰ الطاعة دلقوا أبواب الرجاء والرحمة، وهكذا يعالجون نفوسهم بالحالَين، فهم لا يقنطون من رحمة الله، ولا يأمنون مكر الله. قال ابن تيمية: (**والله عليم حكيم رحيم أمرهم بما يصلحهم ونهاهم عما يفسدهم ثم إذا وقعوا في أسباب الهلاك لم يؤيسهم من رحمته بل جعل لهم أسبابا يتوصلون بها إلىٰ رفع الضرر عنهم، ولهذا قيل : إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله ولا يجرئهم علىٰ معاصي الله**)[3].

---

(١) غذاء الألباب (١/ ٤٦٦).

(٢) الداء والدواء (٣٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٩٢).

الفهرس